روايات مصرية للجيب

زهور

108

الوردة البيضاء



فوزي عوض

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبْ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غنّاء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

ظهر (زيزو) أعلى سلم النادى ، فأسرعت فتاة جميلة تهمس لصاحبتها التى تجالسها حول إحدى موائد النادى النهرى :

- (فيكى) .. (فيكى) ..

وأشارت بعينيها إلى الفتى الذى يهبط السلم وثبًا ، فأسرعت (فيكى) تلتفت نحوه ، فإذا به مقبلاً نحوهما ، مما جعلهما تسارعان بتبادل نظرة دهشة خاطفة ، ظنًا منهما أنه يقصدهما ، عادتا بعدها تستقبلانه بعيونهما الباسمة ، لسرعان ما تكتشفان أنه لا يقصدهما ، بل يقصد الأديب الجالس إلى المائدة التى تليهما مباشرة ، مستغرقًا فى الكتابة ، حتى انتبه على صوت (زيزو) :

- صباح الخير يا أستاذ (نور) .

فإذا بالأديب يلقى بقلمه فوق أوراقه ، لينهض آخذًا (زيزو) فى حضنه قائلاً :

- أهلاً ااا .. بالابن العاق .

ابتسم (زيزو) فى حضنه :

ـ يا ساتر ! عاق مرة واحدة ؟!

وكان رد الأديب معاتبًا :

ـ طبعًا عاق .. أسبوع بأكمله لا أراك ، ولا أسمع صوتك ..

وكان رد (زيزو) بحيائه الجميل :

ـ لك الحق فى هذه يا أستاذ .. أنا آسف ..

ولم يملك الأديب إلا أن يتطلّع إليه بمنتهى الحب والحنان ، ثم يجيبه مبتسمًا :

ـ قبلنا اعتذارك أيها السُمانى الجميـل ، ولكـن لا تكررها مرة أخرى .

وكان رد (زيزو) بابتسامته الحلوة :

ـ طبعًا لن أكررها .

والتفت المضيف الوسيم إلى المائدة ، فإذا بها بلا مشروبات ، فأسرع يسأل الأستاذ :

ـ ألم يأتوا لحضرتك بالقهوة ؟

وكان رد الأستاذ وهو يعاود الجلوس أمام أوراقه :

ـ منذ أسبوع وأنا أشربها بلا طعم .

فكان رد المضيف على الفور :

ـ فورًا سيكون عند حضرتك أحلى فنجان قهوة .

واستدار (زيزو) منصرفًا ، فإذا بالجميلـة صديقـة (فيكـى) تستوقفه :

ـ (زيزو) !

دنا منها (زيزو) متبسّمًا :

ـ صباح الخير يا آنسة (ميرفت) .

غمرته بابتسامة عينيها الجريئتين :

ـ حمد لله على السلامة .

ـ الله يسلمك يا افندم .

ـ ممكن كوب عصير فريش من يدك ؟

ـ طبعًا يا افندم .. ممكن .

والتفتت الفتاة إلى صديقتها :

ـ ماذا تشربين يا (فيكى) ؟

وإذا برد (فيكى) وهى تلتهم الفتى بعينيها الزرقاوين فى جرأة عجيبة :

ـ أريد مشروبًا فى شكل القمر ، وبطعم العسل .

انفلتت ابتسامة (زيزو) الخجلى ، ولم يملك إلا أن يلتفت إلى صديقتها حائرًا ، فأسرعت تنقذه :

ـ أى شىء منك سيعجبها يا (زيزو) .

وكان جواب الفتى :

ـ أمرك يا افندم .

والتفت إلى (فيكى) وكأنه يستأذنها فى الانصراف ، فإذا بها تغرس سهمًا ناريًا من عينيها فى عينيه ، قائلة :

ـ لو عندك مشروب اسمه (زيزو) ، أدركنى به .

ولم يملك (زيزو) لها جوابًا إلا ابتسامة إعجاب بشقاوتها اللذيذة ، مضى بعدها إلى [illegible] النادى ، ليجد (هيام) فى انتظاره أمام البوفيه ، تستقبله مداعبة :

ـ تغيب مهما تغيب .. رزقك فى انتظارك .

وكان رد (زيزو) فى تبسم وحنو :

ـ كيف حالك يا (هيام) ؟

ـ الحمد لله .

ـ عن إذنك أستبدل ثيابى .

ومضى (زيزو) إلى حجرة الملابس ، بينما زميلته تشيِّعه بنظرة إعجاب بريئة .. نعم بريئة .. فصحيح أنها كانت شديدة الإعجاب به .. إعجاب بوسامته الزائدة عن الحد ، وإعجاب بشخصيته الراقية ، وإعجاب برجولته ونضجه ، وإعجاب برقة إحساسه .. إعجاب بكل ما فيه .. وللحق كان كل ما فيه جميلًا ، ومثيرًا للإعجاب .. ولكن إعجاب (هيام) به كان إعجاب الأخت بأخيها .. لقد كانت الفتاة ترى فيه نعم الأخ .. وسبحان الله .. كانا يتشابهان كثيرًا ، وكأنهما شقيقان حقًّا ، لا مجرد زميلى عمل ..

كان (زيزو) فى الثالثة والعشرين من عمره .. وكان فلقة قمر .. وجه أبيض شاهى ، لا مثيل له فى وسامته ، وملامح رجولية ، تحمل كل سحر الرجولة ، وقوام (مانيكان) لا يقل سحرًا عن سحر وسامته .. وفوق ذلك كله جاذبية لا تُقاوم ..

ولو كان هناك (آلان ديلون) فى (مصر) لكان (زيزو) ..

ومن هنا كان الفتى حديث كل حسناوات النادى ، وهدفًا ساخنًا لـ (فيكى) وأشكالها .

أما (هيام) فقد كانت تصغره بعامين تقريبًا .. ولكنها كانت تفوقه بياضًا ناصعًا ، وكأنها تستحم يوميًا بضوء القمر .. وكانت ملامحها مرسومة ربانيًا بمنتهى الرقة والعذوبة .. وكان لها عينان عجيبتان ، ما خلق الله لهما مثيلاً فى جمالهما .. عينان اجتمع فيهما الليل والنهار وبريق لا يسلم القلب من وميضه .. وفى جملتها كانت بدرًا لو أطل على مدينة مظلمة لأضاءها كلها فى طرفة عين .

ومن هنا كان كل من يرى (زيزو) و (هيام) معًا ، لا يخرج ظنه فيهما عن اثنين ، إما هما شقيقان ، وإما ..... حبيبان .. وكان الاعتقاد فى الثانية أكثر ، حتى إن الأستاذ (نور) نفسه ، رغم أنه كان خير من يعلم حقيقة ما يربطهما ببعضهما ، إلا أنه كان كلما شاهدهما معًا ، وجد نفسه يتساءل بدهشة حزينة : « لماذا لم تفكر فيها يا (زيزو) ؟! » .. كان يملؤه شعور عجيب بأنهما خُلقا ليكونا حبيبين ، لا أخوين .

وخرج (زيزو) من غرفة الملابس بـ (يونيفورم) النادى .. مضى إلى (هيام) الجالسة إلى مكتبها الصغير بمدخل البوفيه ، ليتناول منها دفتر (الأوردرات) ، ثم استدار قاصدًا صالة الزبائن ، فإذا بـ (شهيرة) زميلته تقطع عليه الطريق بشقاوتها الحلوة :

ـ (زيزو) ؟

توقف لها الفتى مبتسمًا :

ـ أهلاً (شهيرة) ..

ـ حمد لله على السلامة يا نصف القمر .. وحشتنى .

ابتسم كعادته كلما نادته بهذا الوصف .. شقاوتها تجعلها تصر على إنكار نصف جماله .. وكان هو يتلذذ بشقاوتها هذه .. يا لها من أنثى .. لو رأيتها من بعد ألف متر للفحتك بأنوثتها المشتعلة .. غزال برى تكاد الأرض ترقص تحت قدميها على دلال خطوتها ، ولهيب أنوثتها ، ورنة صوتها التى تشبه موسيقى (الواحدة ونصف) .. لو سمعتها حتى وهى تتشاجر لوجدت قلبك يرقص رغمًا عنك على (واحدة ونصف) .. إنها أنوثة الفطرة التى

تلهب القلب والخيال ، والتى تحمل فى طياتها طيبة قلب متناهية ، تظهر وقت اللزوم .

ولم يملك (زيزو) إلا الانصراف من أمــام زميلتـه الشـقية ، قبـل أن تبـدأ وصـلة شـقاوتهـا التى لا ترحمــه منها كلما وقع بيـن يديهـا .. مضـى إلـى زبائنــه فـى الصالــة ، بينمـا عينـا (هيـام) عليه ، تموج فيهما همسة عتاب ، بثُّها فى كبرياء القلب الكتوم ..

وأشرقت ابتسـامة الأستاذ (نـور) فـى وجهـه .. فقد أقبلـت عليه وردته البيضاء المفتون بجمالها .. كان دومًا يرى بطـلات رواياته ملكات جمال فى الحسن والإحساس ، فـإذا بـ (هيـام) فى نظره تفوقهن جميعًا حسنًا وإحساسًا .. وبادرته وردته قائلـة بابتسامتها القمرية التى تسرق قلبه :

ـ صباح الخير يا أستاذ (نور) .

وأجابها الأستاذ بقلب سعيد برؤياها :

ـ صباح الفل يا (هيـام) .

والتفتت الوردة إلى أوراقه التى أمامه متسائلة :

ـ ما أخبار الوحى مع أديبنا الجميل ؟

وكان جوابه وهو يسبح فى عينيها الحوريتين :

ـ وحيى فى عيونك يا وردتى .

أطرقت بعينيها الفـاتنتين إلـى الأرض فـى حياء ، فلـم يزدهـا حياؤها إلا حُسنًا أذاب قلبه ، وجد نفسه يعاتب قلبه فى سره على عدم تماسكه .. ولكنه سرعان ما أفاق من عتابـه الصـامت علـى صوت الوردة تقول له فى خفوت خجول كهمس العصافير :

ـ هل تعلم أنك أخذت كثيرًا من العندليب ؟

وجد نفسه يسبح بنظراته الحالمة فى تقاطيع وجهها الشاهى ، وكأنه يروى عينيه وقلبه من عذوبة جمالها ، ثم أجابها بهمسـته الحالمة مثل نظراته :

ـ وأنت أخذتِ من القمر كل جماله يا (هيـام) .

عادت تطرق بعينيها إلـى الأرض خجـلاً .. كلماتـه تنسـاب فـى قلبها ؛ لأنها تخرج من قلبـه .. مفتاح قلب البنت ـ أية بنت ـ هـو

الصدق الحنون .. وجدت نفسها تقول لـه بخفوتها الخجـول ، وهى ما زالت مطرقة بعينيها إلى الأرض :

ـ أنت أجمل من يغازلنى يا عندليب .

وخفق قلب العندليب ، وانفلتت منـه نظراتـه المشدوهة تحلّق على وجهها مأخوذًا ببراءتها .. مستحيل أن تكون هذه إنسية .. البراءة التى تملؤها لا وجود لها إلا فى الملائكة ..

وانتبهت الوردة المطرقة على صمت العندليب .. رفعت عينيها الخجلين إلى وجهه ، فإذا بنظراته المشدوهة تغمر وجهها ، فلم تملك إلا الابتسام ، متسائلة :

ـ ماذا يا عندليب ؟!

وأجابها العندليب بدهشته :

ـ كنت أتساءل فى نفسى : ممَّ خلقك الله يا (هيام) ؟

وكان ردها بدهشتها الخجولة :

ـ من تراب طبعًا يا عندليب .. ألست إنسية ؟!

وإذا برد العندليب :

ـ لا .. مستحيل أن تكونى إنسية ، وأن تكونى من تراب ..

وازدادت دهشة الوردة :

ـ ممَّ أكون إذن ؟!

وجاءها الرد سريعًا :

ـ من خلاصة جمال الكون .. يخيَّل إلىَّ أن الله أخذ من كل ما فى الكون أجمله .. أجمل ما فى القمر .. أجمل ما فى النجوم .. أجمل ما فى الورود .. أجمل ما فى الليل .. وأجمل ما فى النهار .. ورشهم جميعًا برقة الملائكة .. ثم خلقك .. فكنت أنت يا (هيام) .

وفوجئت الوردة ..

وخفق قلبها بشدة ..

بينما اندفعت حمرة الخجل تصبغ وجهها الشاهى ، فإذا به قمرًا ورديًا فاتنًا ، تنهل العين مهما تنهل من عذوبة جماله ، فلا ترتوى .. وبالفعل لم ترتو عينا العندليب ، ولكنهما سكرتا .. سكرتا فنسيتا نفسيهما ، فلم تملك الوردة إلا أن تهرب منهما بالإطراق إلى

الأرض حرجًا .. مما جعل العندليب يفيق إلى نفسه ، فيسارع بسؤالها :

ـ ها يا (هيام) .. ما أخبار (أحمد) ؟

وانتشل سؤال العندليب (هيام) من حرجها ، فرفعت وجهها تجيبه :

ـ الحمد لله .

ولكنَّ شيئًا ما فى نبرة (هيام) وفى عينيها استوقف العندليب .. شيئًا انتقل بها من حال إلى حال ، وذهب بإشراقة وجهها ، مما جعل العندليب يسألها بشىء من القلق :

ـ ماذا هناك يا (هيام) ؟ هل حدث بينكما شىء ؟

وإذا برد (هيام) سريعًا ، وكأنها فوجئت بالسؤال :

ـ لا .. لا .. نحن بخير ..

وإذا بها ترسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها ، ثم تردف قائلة :

ـ أنا آسفة إذا كنت قد أطلت على حضرتك .. سأتركك لوحيك الجميل .. عن إذنك .

وقبل أن يجيبها العندليب بالإذن ، كانت قد استدارت منصرفة ، بينما الرجل يشيعها بنظرة قلق ودهشة ، فلم يكن إسراعها بالانصراف من أمامه بهذه الطريقة ، إلا لكى تدارى عنه ذلك الشىء الذى بدَّل حالها ، وذهب بإشراقة وجهها !!

* * *

الفصل الثانى

انتبهت (هيام) على صوت (أحمد) الواجم :

ـ مساء الخير .

رفعت وجهها المطفأ إليـه ، لتنفلت من عينيها نظرة حزينـة تتفطّر مرارة ، لم تملك بعدها إلاّ أن تجيبه واجمة :

ـ أهلاً (أحمد) .. اجلس !

جلس أمامها بعبوسه ، بينما أردفت هى بوجومها :

ـ دقائق وسأكون معك .

وعادت تستأنف تسوية حسابات النادى ، بينمــا راح (أحمـد) يشعل لنفسه سيجارة ، أخذ منها نفسًا طويلاً ، ثم راح يرنو إلـى (هيـام) بنظرات مضجرة تعكس اختناقـه من الانتظـار .. بـدا وكأنه يريد أن يطلب منها ترك ما بيدها والنهـوض معـه ، ولكـن انهماكها فيما تعمل ألزمه الصبر .. فراح يفش ضجره فى دخـان سيجارته .. وإذا بـ (زيزو) مقبلاً عليه ببشاشته الحلوة :

ـ حمد لله على السلامة يا أستاذ (أحمد) .

وأجابه (أحمد) مصافحًا بجهامته :

ـ الله يسلمك يا (زيزو) .

وكـاد (زيزو) يسأله عن سبب جهامتـه ، لـولا أن فطنتـه سرعان ما أدركته بأن الأمر شأن خاص به هو وخطيبته ، وهـو ما يؤكده جهامتها هى الأخرى وهى منكفئة على أوراقها .. ولـم يملك (زيزو) إلا أن يتجاهل الأمر ، قائلاً له بنفس بشاشته :

ـ سأرسل لك بقهوتك حتى تفرغ (هيام) مما بيدها .

واستدار منصرفًا ..

وجـاءت القهـوة .. وامتـدت يـد (أحمـد) إلـى علبـة سـجائره المستقرة أمامه مع (موبايله) فوق المكتب ، ليشعل سيجارة من سيجارة .. بدا فى هذه اللحظة فـى ضعف عمـره .. لـم يكـن قـد جاوز التاسعة والعشرين مـن عمـره .. خمريتـه وتقـاطيع وجهـه المتناسقة المريحة تعكس الوسـامة المصريـة الهادئـة .. وهيئتـه وشـخصيته المحترمـة تعكسـان أصلـه الطيـب .. فهـو مـن أبويـن غاية فى الطيبـة .. ولكـن قدرهمـا فصلهمـا ، فاستقرت الأم مـع ابنها فى (حلوان) ، واستقر الأب بمفرده فى (مدينة السلام) .. تمامًا مثل حال والدى (هيـام) الطيبين أيضًـا ، واللذَيْن انفصـلا منذ سنوات ليستقر كل منهما فى حى بعيد عن الآخر .. صـارت الأسرة المصرية التـى كـانت مضربًـا للمثـل فـى ترابطهـا ودفئهـا

شطرات مبعثرة لا يربطها رابط ، فتفشّى الإحساس باليتم والاغتراب والوحشة .. وما أمرّه من إحساس !!

وفى جملته كان (أحمد) شابًا محترمًا ناضجًا ، به حظ وفير من الرجولة وطيبة المعدن ..

شىء واحد فقط أخذه (أحمد) عن أبيه ، وصار شريانًا رئيسيًا مؤلمًا فى شخصيته .. جمود عاطفته .. جمود قلبه .. جفاف أحاسيسه .. وجدانه كله يشبه قطعة من صحراء جافة ليس فيها ما يروى أو يظلل .. الحب عنده مجرد كلمة تتردد فى الأفلام والأغانى .. كلمة لا يعرف لها مذاقًا ولا استخدامًا .. قد يكون هذا الحب موجودًا فى تكوينه .. ولكن أين ؟ وما فائدته ؟ وما استخدامه ؟

لا يعلم ..

وكلمة (رومانسية) فى نظره تبدو له كمصطلح غريب فى لغة أجنبية لا يعرفها ، ولا يهمه أن يعرفها .. ماذا تعنى همسة غزل منه فى أذن حبيبته ؟! ماذا تعنى تهنئة رقيقة لها بعيد ميلادها ؟! ماذا تعنى صحبتها فى نزهة حلوة ؟! أو مفاجآتها

بهدية بسيطة تسعدها ، ولو كانت وردة واحدة بثمن سيجارة من هذه التى لا يكف عن حرقها ؟

ماذا تعنى هذه الأشياء ؟!

كلها أشياء لا معنى لها فى قاموس حياته .. ذلك القاموس الذى لا يحوى سوى شيئين لا ثالث لهما .. العمل ، وبناء أسرة مثل كل الرجال .. أما الرفيقة التى تشاركه رفع هذا البناء على كاهلها ما هى إلا عمود أسمنتى .. وجوده ضرورى لرفع البناء ، ولكن الإحساس به معدوم .. الإحساس موجود .. ولكن لأشياء أخرى وناس آخرين ..

وهذا هو حال (أحمد) مع (هيام) ..

وهذه هى الوجيعة التى بدّلت حالها ، وذهبت بإشراقة وجهها حينما سألها الأستاذ (نور) عن (أحمد) فى الصباح ..

وانتبه (أحمد) من شروده الواجم مع دخان سيجارته السابعة على صوت (هيام) :

ـ لقد فرغت ..

ونهضت ماضية إلى الحمّام لتعود بعد لحظات قائلة له بوجومها :

ـ هيّا بنا .

ومضت معه بعد أن لوّحت مودعة لـ (زيزو) و (شهيرة) .. توقف بها على بعد أمتار قليلة من النادى مناديًا (تاكسى) يمر أمامهما :

ـ (بولاق الدكرور) ؟

وفوجئت (هيام) فأسرعت تسأله بدهشة أشبه بالصدمة :

ـ (بولاق) ؟!

وجاءها رده باقتضاب :

ـ نعم .. سأوصلك إلى البيت ، ثم أذهب إلى موعد لدى .

تحرك غيظها .. كانت تحسبه جاء ليصالحها ، ويعتذر لها عما فعله بها ليلة الأمس ، فإذا به يجىء ليزيدها كمدًا .. وجدت نفسها تقول له بغيظ مكظوم :

ـ (أحمد) .. أريد التحدث إليك .

وكان رده بصلف :

ـ أخبرتك بأننى لدىّ موعدٌ .

ـ مع الشلة ؟ أليس كذلك ؟

استفزه سؤالها :

ـ نعم .. مع الشلة .. ها ؟ هل نويتِ موشّحك الممل ؟

صفعتها الكلمة :

ـ موشّحى الممل ؟!

بينما مضى هو ، وكأنه لم يسمعها :

ـ ها .. هيا ابدئيه .. هيا ..

وراح يحدجها بنظرته الاستفزازية التى لا تُحتمل ، فلم تملك إلا أن تهتف فيه بغيظ جنونى مكظوم :

ـ (أحمد) !

وانفجر الفتى الجهم :

ـ نعم .. نعم ..

ـ اذهب إلى من تشاء ، ولكن لا تعد لى مرة أخرى .

فوجئ (أحمد) .. حدجها متسائلاً بذهوله :

ـ (هيـام) ! ماذا تعنين ؟!

وجاءه الرد بمنتهى القرف :

ـ أعنى ما سمعت .

واستدارت مهرولة ..

وأسقط فى يد (أحمد) .. وتسمر فى مكانـه مذهولاً .. فالساعة تجاوز الحادية عشرة ليلاً ، والخلاء الشتوى يجعل الشوارع غير آمنة فى مثل هذه الساعة .. وخطيبتـه تهرول مبتعدة عنـه .. وسيارة ملاكى تخفض سرعتها تمامًا مقتربـة منهـا .. وقائدها الحيوان يتحرش بها بألفاظٍ ما ، ويكـاد يمسك بها من نــافذة السيّارة ، لولا أنه فوجئ بـ (أحمد) منطلقًا نحوه ، صارخًا فيـه بكل قوتـه :

ـ امشِ يا بن الكلب .

وفرت السيارة .. واستدار (أحمد) إلى (هيــام) ، فـإذا بهـا ترتجف ، وإذا بدموعها تلمـع فى عينيهـا ، وإذا بعينيها تتعلقان بـه ، تدعوانه إلى ضمها فى حضنه ..

ليل ، وبرد ، وقلب رقيق جريح يهفو إلى ضمـة حضن دافئـة توقف رجفته ، وتسكت أنينه .. ولكن ليس (أحمد) من الصنـف الذى يفعلها ، رغم تحـرك قلبـه وإحساسـه بـالذنب .. لديـه قدرة عجيبـة علـى المكـابرة والتحكم فـى مشـاعره .. كل مـا فعلـه أن أمسك بيدهـا ، واستدار مستوقفًا (تاكسـى) .. مضـى بهـا إلـى كوفى شوب (العمدة) بشـارع جامعـة الدول العربيـة .. جلست أمامه تتأمله وهو يشعل سيجارته فى انتظـار قهوته التـى طلبهـا مع النسكافيه الذى تعشـقه هى .. تزاحمت فـى عينيها شـلالات هـادرة مـن المشـاعر .. حـب وعتـاب ورجـاء .. آه لـو يعلـم كم تحبـه .. آه لو يعلم كم تحتـاج إليه حبيبًا قبل أن يمنحها نفسـه خطيبًا أو زوجًا .. آه لو يعلم كم تحتـاج إلـى قلبـه ، لا إلـى دبلـة خطوبته أو قسيمة زواجه .. لو يعلم ذلك .. لو يراه .. لو يحسـه .. لو يفهمه .. لوضعها فى عينيه ..

لمنحها كل قلبه ..

كل اهتمامه ..

وما أهملها لحظة ..

وما قدم عليها بشرٌ ..

وما ترك فى عينيها دمعة ..

فى اللحظات التى تبلغ فيها علاقتهما شفا الانهيار يسارع بالاعتراف لها بحبه .. فقط فى هذه اللحظات !! ومع ذلك سرعان ما تهدم أفعاله اعترافه هذا .. ما فعله بها ليلة أمس لا يمكن أن يفعله محب بحبيبته .. لم يأتها فى نهاية اليوم ليأخذها من النادى كعادته .. اتصلت به ، فإذا (بموبايله) مغلقًا .. اتصلت فى المنزل فأخبرتها أمه بأنه لم يعد بعد .. عادت تحاول مع (الموبايل) دون جدوى .. اُضطرت إلى العودة إلى منزلها بمفردها ، رغم وحشة الشوارع ليلاً فى هذا الجو الشتوى .. ومن هناك راحت تعاود محاولاتها للاتصال به دون جدوى .. زحفت الساعات حتى الثالثة صباحًا دون أن يتصل بها ، أو ينفتح تليفونه .. كادت تُجن من فرط قلقها عليه .. ولم تُفلح محاولات أمها فى تهدئتها .. هناك قبل أذان الفجر بدقائق فُتح (الموبايل) ، ليخبرها بمنتهى البرود بأنه كان فى سهرة مع أصدقائه فى (السايبر) .. وكان الانفجار منها ، والرد بمنتهى الصفاقة منه ، لتغلق تليفونها فى وجهه ، وتسقط فى حضن أمها منفجرة فى البكاء .. وكانت ليلة من لياليه المرة التى لا يكف عن إهدائها لها ..

متى يكفُ عن هذا ؟

متى يدرك أنها لا تستحق منه هذا ؟

متى يدرك أنها أولى الناس بحبه وباهتمامه ؟ متى ؟

وجدت نفسها تناديه بمنتهى الحب والرقة :

ـ حبيبى !

انتظر حتى وضع الجرسون المشروبات أمامهما وانصرف ، ثم أجابها :

ـ نعم ..

ـ ممكن أطلب منك طلبًا ؟

ـ طبعًا ..

ـ أشعرنى بحبك ..

ابتسم متعجبًا :

ـ وهل عندك شك فى حبى لك ؟

ـ لا طبعًا .. واثقة فى حبك لى ، ولكن أشعرنى به .

شىء من السخرية تسرب فى ابتسامته وفى نبرته :

ـ آه فهمت .. تعنين أُسطوانات الحب ، والكلام الناعم ..

وراح يهز رأسه تعجبًا لسذاجتها ، ثم راح يتكرم بإفهامها :

ـ يا حبيبتى هـذه الأسطوانات يديرهـا الشـاب لبنـت يريـد أن يضحك عليها .. له منها غرض .. أما أنت فخطيبتى ، وستكونين يومًـا زوجتـى ، فهل أضحـك على خطيبتـى التـى سـتكون يومًـا زوجتى ؟

ودُهشت (هيام) .. وانفلت منها سؤالها يحمل دهشتها :

ـ أتعنى أنه ما دمت أننى خطيبتك ، وسأكون زوجتك ، أنه لا لزوم ولا معنى لترديد كلام الحب بيننا ؟!

ـ طبعًا ؛ لأنه سيكون بلا معنى ومملاً .

وطغت دهشة الفتاة :

ـ مملاً ؟!

وكادت دهشتها كلها تنقلب إلى إحباط ... إحباط قد يصل بهـا إلـى حد اليأس من هذا الإنسان .. وقد يدفعها إلـى الإسـراع بمغـادرة المكان بمفردها .. وربما إلى ما هو أسوأ ، وهـو القـذف بدبلتـه

فى وجهـه .. ولكن كيـف ؟ إنهما فى نكـد وغـمٍّ منـذ ليلتين .. ولم يأتيا إلى هنـا إلا لكى يخرجا من نكدهمـا وغمهمـا .. وهى نفسها صارت على وشك المـوت من كثرة النكد .. إذن فلترحم نفسـها ، وترحمـه هو أيضًا منـه .. لمـاذا لا تفعل إذا كـان هـذا بيدهـا ؟

وإذا بالفتاة الفاتنة الذكية تسرع بنفض نفسـها مـن إحباطهـا ، هاتفة فى حبيبها بانتعاش بهيج :

ـ (حمادة) !

وفوجئ (أحمد) بـانقلاب حـال الفتـاة على هذا النحـو ، ولـم يملك إلا أن يجيبها مندهشًا متبسمًا :

ـ نعم .

ـ قل لى (باحبك يا هيـام) .

وازدادت دهشة (أحمد) ، فإذا بها تمسك بفنجـان النسكافيه مكررة مطلبها :

ـ قل لى (باحبك) يا (حمادة) .. قلها وإلاَّ ...

ورفعت الفنجان فى يدها استعدادًا لقذفه بـه ، فلم يملك إلا الإسراع بالنطق :

ـ باحبك .. باحبك يا لاسعة .

★ ★ ★

الفصل الثالث

فتحت (هيام) عينيها ، وظلت ساهمة فى فراشها الأبيض للحظات .. وردة بيضاء نديـة تتلقَى نـور صباحها الجديد بقلب أبيض برىء مُندًى بالحب .. بدا وجهها الشـاهى متوردًا مضيئًا بطيف تبسم حالم جميل .. ما الذى داعب خيالها وأضاء وجهها بهذا التبسم الجميل ؟ الله أعلم .. أزاحت الغطاء عنها ، ونهضت خارجة إلى الصالة ، فإذا بأمها تختتم صلاة الصبح .. بادرتها (هيام) بتبسمها الجميل :

ـ صباح الفل يا (نانسى) .. حرمًا ..

وأجابتها الأم وهى تَرفع سجادة الصلاة عن الأرض :

ـ جمعًا يا (هيام) .

ومضت (هيام) إلى الحمام .. كانت ترتدى بيجامة (كحلى) .. بياضها الناصع ، مع زرقة البيجامة الداكنة ، مع سواد شعرها الناعم المنساب على ظهرها حتى خصرها ، مع خفة حركتها كلُهُنَّ جعلنَها غـزالاً صغيرًا طريًا فاتنًا يهفـو له القلب .. لحظات وخرجت من الحمام على نداء أمها :

ـ (هيام) ! حبيبتك .

كانت (هيفاء وهبى) على شاشة التليفزيون تشعلها نارًا بأغنيتها (مش قادرة أستنى) .. وقفتا تشاهدانها باستمتاع غريب .. إنهما تعشقانها .. وذهبت (هيفاء) بلهيبها ، فالتفتت (هيام) إلى أمها :

ـ هيا يا (نانسى) .. اسبقينى إلى المطبخ ، وسألحق بك بعد أن أصلى .

انفلتتِ من عينى (نانسى) السوداوين نظرة احتجاج ، فما كان من (هيام) إلا أنها هتفت فيها بفرحتها العصفورية :

ـ هيًا يا (نانسى) .. (حمادة) قادم فى الطريق .

وكان رد (نانسى) محتجة :

ـ (حمادة) هذا لك أنتِ .

انفلتت ضحكة (هيام) الكروانية :

ـ ما هذا يا (نانسى) يا حبيبتى ؟ هل تريدين واحد (حمادة) لكِ أنتِ أيضًا ؟

أسرعت (نانسى) تنهرها :

ـ بنت !

وكان رد (هيام) متمادية فى شقاوتها :

ـ يا (نانسى) .. يا (نانسى) .. عينى فى عينك هكذا ؟

ووقفت أمامها تحدّق فيها بمنتهى الشقاوة ، حتى همت (نانسى) بأن تقذفها (بريموت) التليفزيون الذى فى يدها ، لولا أن الغزال الصغير الشقى أسرع بالفرار إلى المطبخ ..

هكذا كانت (هيام) وأمها صديقتين أكثر من ابنة وأم .. صديقتين جمعهما الجمال والنقاء والروح الشبابية العاشقة للحياة .. فالأم لم تزل فى بداية الأربعينات من عمرها .. وهو سن الجمال الكامل عند المرأة .. وخاصة إذا كانت فى فتنة (نانسى) .. إنها بيضاء هيفاء مخروطة العود كغصن تفاح محمل بثماره الشهية التى لا تُقاوم .. وهى فى منتهى خفة الدم .. حتى إنه من يراها فى مرحها المتواصل ، لا يمكنه أن يمنحها سنًا أكثر من العشرين عامًا .. ومن النهاية هى أنثى

شهية فى عنفوان أنوثتها ، وذروة فتنتها .. من يصـــدق أن هـذا الجمال كله يهجـره رجـل لا لسبب إلا لتعلقه ـ الزائـد عن الحد ـ بإخوته ؟ وهـو نفس ما يفعله (أحمد) بـ (هيـام) الآن .. مع فـارق واحـد بسـيط ، وهـو استبدال الإخـوة بالأصدقاء .. ها هو (أحمد) بمنتهى الغفلة يمزق كل خيوط الحب التـى تربط (هيـام) به خيطًا بعد خيط ، بسبب تعلقـه المريض بأصدقائـه ، ليس أكثر ..

وجاء (أحمد) .. وتلقّته (هيام) بفرحتها وبسؤالها :

ـ أين وردتى ؟

دائمًا تطالبـه بأن يأتيها بوردة بيضاء حين يكون قادمًا إليها .. إنها تموت فى الورد الأبيض .. يربطها به شىء ما هى نفسـها لا تدريه .. إنه نقاؤها ورقتهـا المتناهيـة .. جاءهـا رد (أحمـد) بلا مبالاة :

ـ نسيت .

زمّت شفتيها فى إحبـاط ، وأخذتـه من يـده إلـى مـائدة الطعام حيث كانت تجلس (نانسى) .. بادرها (أحمد) بلهجته الرصينة المهذبة :

ـ صباح الخير يا (ماما) .

ـ صباح النور يا (حمادة) .. اجلس !

وجلس (أحمد) ، وجلست (هيـام) إلـى جواره ، وراحوا يتناولون إفطارهم .. رفعت (هيام) قطعة (أومليت) بالشوكة ، مقتربة بها من شفتى حبيبها ، قائلة :

ـ كل من يدى يا حبيبى .

وكان رد حبيبها وهو يتراجع بفمه إلى الوراء :

ـ هأنا آكل يا (هيـام) .

تراجعت يد (هيـام) بالشوكة ، وانطفأ وجههـا كسوفًا .. انفلتت من عينيها إلـى عينـى حبيبها نظرة عتاب جعلتـه يبتسم مشفقًا عليها من طفوليتها ، ثم يقول لها من باب الشفقة :

ـ هاتيها يا (هيـام) !

وضعتها فى فمه ، ولكن دون فرحة ، مما جعلـه يهز رأسـه متعجبًا :

ـ متى تكفين عن طريقتك الطفولية هذه ؟

كاد ينفلت منها رد ما ، ولكنها سارعت بابتلاعـه وهـى تبتسم إشفاقًا عليه من تركيبته ، بينما تدخلت (نانسى) قائلة لها فى حنـو :

ـ كلى أنت يا (هيام) ، فقد تتأخرين فى المستشفى .

وأجابتها (هيام) بابتسامة رقيقة يطفئها الشجن :

ـ حاضر يا (نانسى) .

ورفعت لقمة (مربى) إلى فمها فى شرود شجى .

* * *

وانطلق التاكسى بـ (هيـام) و (أحمد) قـاصدًا مستشـفى (ناصر) لأمراض القلب ؛ فاليوم موعد جلسة العلاج الأسبوعية لـ (هيام) .. إنها لا تحب هذا اليوم ، فهو يذكّرها بأنها من أصحاب العلل ، ويغمرها فى جو المرض بكل غمـه وكآبتـه .. التفتت إلى حبيبها الجالس إلى جوارها فى التاكسى ، وكأنها تريد أن تستعين به على طعم هذا اليوم .. فإذا بـالحبيب يعيش مـع دخـان سيجارته .. عـادت ترسـل بنظراتهـا المطفـأة أمامهـا ، لتتكالب عليها خواطر أمرّ من اليوم ذاته ..

لقد فتحت عينيها على الدنيا لتجـد نفسـها فـى كنـف أب عصبى ، لا حدود لعصبيته .. وعصبيته دائمًا على باطل .. إن كل اهتمامه ودخله وحياته لإخوته ، وإذا مـا فـاض الكيل بزوجتـه ، وفتحت فمها معترضة ، انفجر فيها هـى وابنتهمـا كبركـان مفـزع ، حتى تفرا من أمامه مذعورتين ، وهكذا أحال حياتهما إلـى قطعـة من الجحيم ، حتى رحمهما الله بانفصاله عنهما ، واختياره لحياة العزوبيـة بعيدًا عنهما .. ورغـم الهزة النفسية التى أصابتهمـا فـى بدايـة هجره لهمـا كـامرأتين رقيقتين لا سند لهمـا سـواه ، ورغم ما خلّفه وراءه من فـراغ موحش ، إلا أنهمـا مـا لبثتـا أن شـعرتا بقدر كبير من السكينة ، وهدوء البـال ، بعد أن غـاب عنهما الشجار الموصول ، وخمـدت نيران العصبيـة التـى كـانت تلتهـم أعصـابهما بلا رحمـة .. ولكنهمـا سرعـان مـا اكتشـفتا أن هذا الهدوء ، لم يكن سـوى الهـدوء الذى يسبق العاصفة .. فلم تكد تمضى بهما أشهر معدودات ، حتى وجدتـا نفسـيهما فـى مواجهـة مريعـة مع مـا هـو أفظـع وأمـرّ آلاف وآلاف المرات مـن وليهمـا الـذى هجـر .. فيـروس لعيـن لـم يجـد لـه وطنًـا ولا مـأوى سـوى قلب (هيـام) الرقيـق ، فحطّ بـه رحالـه ، ثـم انطلق ينهش فيـه فى سعار مجنـون ، وكأنـه جـاء لينتقم لذنب

مجهول لا تدريه المسكينة .. وكأن القدر يؤكدها لهما : لا راحة ، ولا أمان ..

قدرهما هكذا ! فماذا تملكان حياله غير الصبر ، والتشبث برقبة الحياة حتى يرضى عنهما ؟! ومن هنا راحت الفتاة الرقيقة تصارع مع الأطباء لكبح جماح فيروس الموت المنطلق فى قلبها .. فهل سينجحون ؟

هكذا مضى التاكسى بالمسكينة وهى مخطوفة بخواطرها التى تغم .. بينما نظراتها المخنوقة مرسلة أمامها فى غيبة تامة عن الدنيا وما فيها ، حتى وجدت نفسها تنتبه على هتفة حبيبها يسألها بمنتهى الحدة والقسوة :

ـ (هيام) ! ماذا هناك ؟

التفتت إليه مندهشة :

ـ ماذا يا حبيبى ؟!

ـ لملمى عينيك هاتين !

فوجئت الفتاة .. أسرعت تنظر أمامها ، لترى ما الذى ضايقه بنظراتها إليه ، فلم تجد شيئًا بعينه ، همت بأن تسأله ، ولكنها فجأة فطنت ، فقد وقعت عيناها على السائق المنهمك فى قيادة السيارة .. كان شابًا وسيمًا استقرت عيناه فى المرآة التى أمامه .. هذا هو إذن ... لقد ظن (أحمد) أنها تبادله النظرات فى المرآة .. وجدت نفسها تلتفت إلى حبيبها تحدجه فى صدمة وعتاب شديد ، فإذا برده بنفس حدته :

ـ اخفضى عينيكِ !

وصُعقت (هيام) ، بينما أسرع هو يشيح عنها بوجهه الغاضب ، تاركها غارقة فى صدمتها ، لا تدرى ماذا تفعل أو تقول ، حتى لمعت الدموع فى عينيها .. وكان هذا هو تخفيفه عنها فى يوم كهذا !!

وبلغا المستشفى .. وتمددت الفتاة على طاولة الكشف أمام الدكتور (رمزى) طبيبها العجوز المشرف على علاجها من بداية المرض .. وراح الطبيب يفحصها فحصه الدورى ، قبل أن يقوم بتوصيل صدرها بجهاز موصول بكمبيوتر ، ليظهر قلبها

على شاشته .. وقف أمامه يلقى عليه بنظرة طويلة ، فإذا بالإحباط يطفح على وجهه .. استدار إلى مريضته الممددة ، قائلاً لها بهدوئه المخنوق بإحباطه :

ـ تعالى يا (هيام) .

نهضت مريضته ، تتبعه إلى مكتبه ، حيث جلست أمامه ، وهو يطالع ملفها الطبى ، حتى رفع عينيه إليها متسائلاً :

ـ ألا تواظبين على العلاج يا (هيام) ؟

ـ بلى يا دكتور .

رفع الطبيب نظارته عن عينيه ، وراح يرمقها بنظرة أسى ، فهمت الفتاة ما وراءها ، فكان سؤالها فى غم :

ـ حالتى تسوء يا دكتور ، أليس كذلك ؟

طغى الأسى فى نظرة الطبيب إليها ، وطفح فى نبرته ، وهو يجيبها :

ـ يا (هيام) يا بنتى .. سبق وقلت لك إن حالتك النفسية لها دور كبير جدًا فى مقاومتك للمرض .. أنا عارف أنه لا أحد يخلو

من الهموم ، ولكن إذا كان جزء كبير من شفائك يتوقف على تخلصك من هذه الهموم بقدر المستطاع ، فلماذا لا تساعدين نفسك ؟

وسكت الطبيب متطلعًا إليها بمرارته فى انتظار جوابها ، ولكنه لم يتلق منها سوى الصمت .. لقد همت بأن تفتح له قلبها ، ولكن كبرياءها لم يطاوعها .. اكتفت بأن تطرق إلى الأرض بنظراتها المخنوقة ، حتى انتبهت على صوت الطبيب وهو ينهض :

ـ هيا بنا إلى الجلسة ..

وخرجت (هيام) من جلسة العلاج مجهدة شاحبة الوجه ، ليتلقاها (أحمد) الذى كان ينتظرها فى استراحة العيادة ، متسائلاً بهدوئه الجاف :

ـ ما الذى أخّرك هكذا ؟

تأملته بنظرة تزاحم فيها الأنين والمرارة والعتاب ، ثم أجابته :

ـ الدكتور كان يتكلم معى .. هيا بنا ..

ومضيا معًا ، ومـا أن خـرجا من بـاب المستشفى ، حتى رن موبايل (أحمد) .. أجاب محدثه ، ثم أغلق التليفون قائلاً لـ (هيام) :

ـ يريدونني في الشركة .. سأوقف لك تاكسيًا ..

ووضعها في تاكسي لينطلق بها ، بينما قلبها يتفصد مرارة .

* * *

الفصل الرابع

اليوم تتعانق الشمس والقمر في قلب (هيام) ..

اليوم تتفجّر في قلبها كل ينابيع الفرحة ..

اليوم ترتسم في عينيها كل روائع الألوان ..

فاليوم يُنشر لهـا أول ديوان شـعر .. جاءها الأستاذ (نور) بنسخة منـه .. كـاد يغشى عليها من الفرحة والدهشة ، وهي تحدّق في اسمها وصورتها على الغلاف غير مصدقة عينيها .. ثم رفعت عينيها تحدّق بهما في الأستاذ متسائلة :

ـ معقول يا أستاذ (نور) ؟!

وابتسم الأستاذ لدهشتها وفرحتها :

ـ مبروك يا حضرة الشاعرة الجميلة .

وانفلت سؤال (هيام) ذاهلاً :

ـ شاعرة ؟!

ـ نعم شـاعرة يا (هيـام) .. وديوانك هـذا معروض الآن فى المكتبات ، ومُعلن عنه بالصحف .

وطغت دهشـة (هيـام) إلـى ذروتهـا .. وعـادت تحـدّق فـى الديوان غير مصدّقة نفسها .. وأقبل (زيزو) مداعبًا :

ـ مساء الفل على أديبنا ووردتنا .

وأسرعت (هيـام) تجيبه هاتفـة بفرحتهـا ، وهى تمد يدها لـه بالديوان :

ـ أرأيت يا (زيزو) ؟! أرأيت ؟!

وتناول (زيزو) الديوان منها .. وفوجئ بالاسم والصورة ، فإذا بفرحته لا تكاد تقل عن فرحة (هيـام) .. أسرع يحدّق فيهـا بفرحته الطاغية :

ـ مبروك يا (هيـام) .. مليون مبروك .

وانفلت سؤال (هيـام) :

ـ أنت مصدق يا (زيزو) ؟!

ـ طبعًا مصدق يا (هيـام) .

وراح يحلّق بنظراته المبتهجة على وجهها ، قائلاً :

ـ هذه الرقة والعذوبة لا يمكن أن تكون إلا لشاعرة .

وابتسم الاستاذ (نور) لغزله الجميل ، وانتبـه (زيزو) إلـى نفسه ، فأسرع يسأل الأستاذ :

ـ أليس هذا هو رأى حضرتك أنت أيضًا يا أستاذنا ؟

وكان رد الأستاذ باسمًا :

ـ طبعًا يا (زيزو) .. لقد نطقت بما فى قلبى .

ولمح (زيزو) نسخة أخرى من الديوان على مـائدة الأستاذ ، فإذا به يسارع باختطافها بفرحة ، هاتفًا :

ـ هذه النسخة لى بعد إذن الأستاذ .

ـ بل هى لـ (حمادة) حبيبى .

هكذا انفلت الجـواب مـن (هيـام) وهى تختطف النسـخة من يـد (زيزو) .. ولـم تنتبـه الفتـاة إلـى مـا حـدث ، فقد تسـمرت الابتسامة على شفتى (زيزو) ، وانفلتت من عينيه نظرة عتـاب حزينـة ، ضـاعت فـى خضـم فرحـة الفتـاة ، والتـى التفتـت إلـى

الأستاذ (نور) تستأذنه فى الانصراف .. أسرعت تطلب خطيبها فى (الموبايل) ، فـإذا بـه على سلم النـادى .. أقبل عليهـم مصافحًا ، بينما تلقته (هيام) هاتفة بذروة فرحتها ، وهى تمد يدها له بالديوان :

ـ (حمادة) حبيبى .. انظر !

ألقى (أحمد) نظرة على الكتاب ، متسائلاً :

ـ ما هذا ؟

أشارت إلى اسمها وصورتها .

ـ انظر !

نظر ، ومع ذلك بدا وكأنه لم يفهم ، فأردفت هى بفرحتها :

ـ حبيبتك صارت شاعرة رسميًا .

انفلتت ابتسامة (أحمد) ساخرة :

ـ شاعرة ؟!

وأردف وهو يرد لها الكتاب :

ـ هيا بنا .

والتفت إلى الأستاذ (نور) و (زيزو) يستأذنهما ، واستدار منصرفًا ، بينما (هيـام) متسمرة فى مكانها ، لا تعرف حتى إلى أين تنظر .. تحول بركـان فرحتها إلـى كـوم رمـاد غشـى كـل حواسها ..

انتبهت على صوت (أحمد) يناديها مندهشًا :

ـ (هيـام) .

نظرت إليه بصدمتها وذهولها ، بينما عاد هو يهتف بها :

ـ ماذا بك يا فتاة ؟ هيًا .

التفتت إلى الأستاذ (نور) و (زيزو) تستأذنهما ، ثم مضـت بقلبها المطفأ ، ليتلقاها (أحمد) متسائلاً :

ـ ما الأمر يا (هيـام) ؟

تطلعت إليه بنظرة طويلـة مختنقـة بتسـاؤلات وصرخـات ، وبأشياء أخرى كثيرة لم يفهم منها شيئًا .. وجد نفسـه يتفرسـها فى دهشة من أمرها ، وكأنه ملّ مـن تكرار سؤاله عمـا بهـا .. ولكن (هيـام) ما كانت فى حاجة لتكراره ..

كانت فى حاجة لأن تخرج من بين رماد مشاعرها المحترقـة ، فأسرعت تفعل .. أسرعت ترسم ابتسامتها فوق شفتيها قائلة له :

ـ تحت أمرك يا حبيبى .

ـ عيد ميلاد صديقى (إبراهيم) الليلة .. أنسيتِ ؟

أسرعت تجيبه بابتسامتها المرسومة :

ـ لا يا حبيبى .. لم أنس .. حالا سأستأذن من مدير النـادى وأمضى معك .

دقائق وكانـت تغـادر النـادى فى ذراعــه ، وقد نسيت أمر الديوان تمـامًا .. شـــعور جميل يملؤها حين يتركها تتأبطـه .. شـعور بالأمــان ، وبأنهـا فى حمـاية رجـل قـوى .. حرمانها مـن أبيهـا ومـن أخ لهـا ضـاعف مـن هذا الشعور ، وأكسبه طعمًا خاصًا لديهـا .. ضغطت نفسها فى ذراعه مستدفئة بـه ، وهى تسـأله :

ـ حبيبى .. ممكن نذهب إلى المنزل دقائق ؟

ـ لماذا ؟

ـ يعنى .. أبدل هيئتى هذه .

وجاءها الرد خاطفًا :

ـ أنت جيدة هكذا .

وأسرع يستوقف تاكسيًا ، لتجد نفسها فى وضع لا تحسد عليه فى الحفـل .. كل الفتيـات فى ذروة فتنتهن بأناقتهن وزينتهـن ، إلا هى بثيابها البسيطة ، ومجرد آثار لمكياجها الذى بهت من طول ساعات العمل بالنـادى .. كاد شعورها بالمرارة يعزلها عن المحتفلين ، لولا أنها سارعت بوأده فى مهده ، وسارعت بالاندماج معهم ..

وانفض الحفـل ، لينتحى (أحمـد) بـ (هيـام) جانبًا ، قـائلاً لهـا :

ـ (هيام) ! سأذهب مع أصدقائى فى مشوار صغير .

فوجئت (هيام) :

ـ وتتركنى هنا وحدى ؟

وكان رده بمنتهى الهدوء :

ـ معك والدا (إبراهيم) .

نظرت فى ساعتها وكأنها ترجوه :

ـ الساعة ١١ يا (أحمد) .

ـ لن أتأخر عليك أكثر من نصف ساعة .

ولم يعطها الفرصة لكلمة أخرى ، استدار ماضيًا مع أصدقائه ، تاركها مع والدى صديقه المسنين .

* * *

نصف الساعة امتد إلى أكثر من ثلاث ساعات .. و(هيام) بمفردها مع الزوجين المسنين ، لينفجر ذهولها من سخافة الموقف .. اتصلت بـ (أحمد) ما يقرب من عشر مرات ، وفى كل مرة يجيبها بأنه فى الطريق إليها .. من الثانية عشرة إلى ما بعد الثانية صباحًا وهو فى الطريق إليها !! ووالدا صديقه المسنان يغالبان النعاس حتى غلبهما وهما يجلسان معها ، لتجد نفسها فى أسخف موقف عاشته فى حياتها .. وللمرة الرابعة راحت تجيب أمها على (الموبايل) بأن (أحمد) لم يعد بعد ، وهى خائفة من النزول بمفردها إلى الشارع فى هذا الوقت المتأخر ، ولكن الأم لم تملك فى النهاية إلا أن تصرخ فى ابنتها بأن تنزل ..

ونزلت الابنة .. كانت الساعة تقارب الثالثة فجرًا .. ومنطقة مساكن الشروق بأكملها تكاد تبدو ككوكب مهجور معتم .. فقد خلت شوارعها تمامًا من أى أثر للحياة بفعل صقيع (طوبة) الذى لا يُحتمل .. لتجد الفتاة نفسها تمضى وحيدة فى الشوارع المخيفة بكل وحشتها وخوائها .. لا تاكسى ، ولا مارة ، ولا أثر لأى ونس .. بلغت الطريق الخلفى للنادى الأهلى ، فإذا به أيضًا خاويًا رغم ضخامته .. انفجر خوفها كله دفعة واحدة ، فاندفعت تهرول محتمية بسور النادى ، وكأنها تفر من مجهول مفزع يطاردها .. فجأة شق السكون صوت سيارة قادمة .. توقفت متطلعة إليها فى لهفة ، فإذا بها سيارة ملاكى تخفض من سرعتها .. عادت تواصل ركضها ، فإذا بالسيارة تلحق بها ، وإذا بصوت قائدها :

ـ ماذا هناك يا آنسة ؟

لم تتوقف ، ولم تلتفت إليه ، فإذا بالرجل يهتف فيها :

ـ قفى يا آنسة .. قفى !

توقفـت ملتفتـة إليـــه وهى ترتعـد خـوفًا ، فـإذا بـه رجل مسن ، وإذا به ينزل من السيارة مقتربًا منهـا ، وهـو يقول لهـا فى حنـــو :

ـ لا تخافى يا بنتى .. لا تخافى .. أنا كما ترين فى سن والـدك ، وربما فى سن جدك ، فلا تخافى .

وجدت نفسها تتطلع إليه وهى ترتجف ، بينما عاد هو يسألها :

ـ ماذا هناك ؟

أجابته وأسنانها تصطك ببعضها من شدة الصقيع :

ـ لا شىء .. فقط كنت فى زيارة أقاربى وتأخر بى الوقت .

ـ وأين تقيمين ؟

ـ فى (بولاق الدكرور) .

ـ يااه !

وأسرع يخلع معطفه من فوقه ليدثرها به قائلاً :

ـ لا تخافى .

تعلقت عيناها بـه ، وقد انسابت منهمـا الدمـوع ، فكـان رد الرجل الطيب على نظراتها ودموعها التى تمزق القلب :

ـ لا تخافى يا حبيبتى .. أنا مثل والـدك ، ولـن أتركك إلا فـى منزلك .. تعالى !

وبمنتهى الحنو أخذها الرجل الطيـب مـن يدهـا ، وأركبهـا إلـى جواره فى السيارة ، ماضيًا بها إلى مسكنها ، لتسقط فـى حضن أمها منفجرة فى البكاء ، بينما الأم تردد ساخطة :

ـ حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .

* * *

الفصل الخامس

فوجئ (أحمـد) بجـواب (نانسى) بمجرد أن فتحت باب الشـقة :

ـ (هيـام) سافرت !

لم تكن المفاجأة فقط فى جوابها ، بل كانت فى عدم دعوته إلى الدخول ، وفى السخط الطافح من عينيها .. وجد نفسه يسألها مندهشًا :

ـ سافرت إلى أين ؟ ومتى ؟

وجاءه الرد مزيدًا من السخط فى نظرتها ، مما زاده دهشة :

ـ ماذا هنـاك يا ماما ؟ لا هى فـى النـادى ، وتليفونها مغلق ، وتقولين إنها مسافرة ، وفى عينيك نظرة غريبة .. ماذا هناك ؟!

كادت تبصق على وجهه غيظًا وكمدًا ، لـولا تعقلها .. ولكن عينيها فعلتاها ، مسحتاه من أعلاه إلى أسفله بنظرة احتقار لاذعة ، جعلته يهتف فيها بنفاد صبر :

ـ ماما ؟ ما الحكاية ؟!

وكان ردها بمنتهى القرف :

ـ الحكاية أننى أريد أن أنام .

وضربته الإهانة بمنتهى العنف .. وجد نفسه يحدق فيها متسائلاً بذهوله :

ـ ما هذا ؟! أتطردينني يا ماما ؟!

وكان ردها بسخطها ، ويدها تحرك الباب فى وجهه :

ـ لو سمحت .

وأسقط فى يده ، أطرق إلى الأرض بنظرة ذهول ، ثم عاد يتطلّع إليها ، فإذا بنظرتها تنذره بما لا يُحمد عقباه .. فلم يملك إلاّ أن يستدير بذهوله وصدمته ..

طوال طريقه إلى مقهى (أم كلثوم) بوسط المدينة ـ ملتقاه الدائم بشلته ـ وهو يكابد صدمته ، ويتساءل عن لغز ما يحدث .. كل ما يتذكره هو أنه نسى نفسه أمام (النت) ، ونسى تليفونه مغلقًا كعادته كلما دخل (السايبر) ، وعندما فرغ من سهرة (الشات) تذكر (هيام) عند والدى صديقه ، ولكنه سرعان ما خطر له أنها من المؤكد عادت إلى المنزل عندما شعرت بتأخره عليها ، فلا داعى لأن يزعجها بالاتصال أو بالذهاب إليها فى

هـذا الوقت المتأخر من الليل .. وفى الصباح سوف يطمئن عليها .. فما الذى حدث إذن لكل هذا ؟! اختفاؤها الغريب ، وهذه المعاملة الأكثر غرابة من أمها يوحيان بأن ثمة مصيبة وقعت .. فما هى ؟ مؤكد الجواب عند (هيام) .. ولكن أين هى ؟

أسبوعان وهو يقلب الدنيا عليها .. فى النادى .. لدى أقاربها .. لدى صديقاتها .. وفى كل مكان يخطر له تواجدها فيه ، دون جدوى .. وفى كل ذلك (موبايله) لا ينزل عن أذنه .. والجواب لا يتغير : (مغلق) .. حتى كاد الفتى يُجن .. وجد نفسه يعود إلى (نانسى) بعصبية انتحارية .. اقتحم عليها الشقة وهو يهتف بها :

ـ لن أتزحزح من هنا خطوة قبل أن أعرف أين هى .

همت بأن ترفع سماعة التليفون بصدمتها ، فإذا به يعاود هتافه ، وهو متسمر فى مكانه :

ـ أبلغى البوليس .. اضربينى .. اقتلينى .. افعلى بى ما تشائين ، ولكن دعينى أرها ولو لدقيقة واحدة .

وفوجئتْ (نانسى) بموقف الفتى ، وفوجئت أكثر بدموعه تلمع فى عينيه .. كانت هيئته وحالته تثيران الشفقة ، مما جعل قلبها يكاد يرق له ، ولكن منظر ابنتها وهى تدخل عليها منهارة قرب الفجر قفز أمام عينيها فجأة ، ليجعلها تفيق إلى نفسها بسرعة ، وتجيبه فى غِلٍّ :

ـ اخرج من هنا !

وصُدم الفتى .. أطبق عليه اليأس ، فكاد يقدم على فعلة مجنونة ، لولا أن دق تليفون المنزل ، فأسرعت المرأة ترد ، فإذا به يدرك من ردها أن المكالمة من (هيام) .. فقفز إلى المرأة ، خاطفًا من يدها السماعة ، صارخًا فيها :

ـ (هيام) .. أنا (أحمد) يا (هيام) .. أنا (أحمد) .. أين أنـ ......

وانقطع صراخه فجأة ، فقد أُغلق الخط .. جمدته الصدمة فى مكانه ، بينما راحت (نانسى) تحدق فيه بسخطها وقد بلغ ذروته .. خطر لها بأن تطلب أبويه تليفونيًا ليتصرفا معه ، ولكنها قبل أن تقدم على تنفيذ فكرتها كانت قد خطرت له هو أيضًا فكرة جهنمية ، جعلته ينطلق جريًا مغادرًا الشقة .. دخل على صديق له يعمل بسنترال (الجيزة) ، طالبًا منه العنوان

الذى جاءت منه المكالمة .. وفى لحظات كان العنوان فى يده .. انطلق إليه ليكتشف أنه عنوان خالة (هيام) .. ومن الخالة انكشف له اللغز .. علم بجريمته .. بأسود ليلة أهداها للمسكينة التى ربطها حظها العاثر به .. وكادت الصدمة تذهب بعقله .. لم يكن يدرى أنه بغبائه كاد يتسبب فى كارثة لا علاج لها ، لولا ستر الله .. ظل لأكثر من ربع ساعة جامدًا فى مقعده ، ونظراته الذاهلة مدفونة فى الأرض ، وكأن جريمته كسرت عنقه .. ولكنه فى النهاية رفع عينيه عن الأرض ليسأل الخالة فى نبرة ذليلة :

ـ وأين هى الآن ؟!

وحدجته الخالة بنظرة مرارة ، ثم أشارت بعينيها إلى إحدى الغرف .. فنهض متجهًا إليها وهو مطحون بصدمته ، ليُفاجأ بفتاته جالسة فوق سجادة الصلاة ، سارحة ببصرها فى حزن أطفأ وجهها تمامًا .. رفعت عينيها إليه بنظرة ينشق لها الجبل .. أدرك على الفور أنها أنبوب مضغوط على حافة الانفجار ، وعليه أن يتحسّب لذلك جيدًا ، وإلا انقضى أمله تمامًا فى استعادتها .. جلس على حافة الفراش ، مشعلا لنفسه سيجارة فى هدوء .. وقرأته الفتاة بفطنة الأنثى .. وأدركت أنه يجاهد فى استجماع كل قدراته لاحتوائها ..

انفلتت منها إيماءة تعجب من ثقته الدائمة فى أنها له .. مهما حدث منه هى له .. هذه هى أزمتها الحقيقية معه .. اطمئنانه المطلق إلى امتلاكه لها .. المسألة إذن من ناحيته تملك وليست حبًا .. قالتها له مرارًا : « لا حياة لى بدونك » ، وتلقفها هو منها محتفظًا بها وديعة بين مسلّماته ، وها هى تجنى ريع وديعتها ..

اطمئنانه المطلق بأنها له ، مهما حدث منه هى له .. فلا تلومن إلا نفسها ..

رددتها لنفسها بمرارة أقرب إلى الندم ، ثم نهضت رافعة سجادة الصلاة من فوق الأرض .. طوتها ووضعتها على حافة الفراش فى هدوء ، ثم جلست قبالته تتأمله مليًا بقلبها المحتقن غمًا ، بينما راح هو يجيبها بنظرة حيرة هادرة أشبه بالاستغاثة ، كان ردها عليها بهدوء يطوى غمها ومرارتها :

ـ خير يا (أحمد) ؟

لم يزحزح عينيه عن وجهها .. تركته يقول بهما ما يشاء ، ثم عادت تكرر سؤالها :

ـ خير يا (أحمد) ؟

أدرك أن حديث العينيـن ذهـب أدراج الريـاح ، فـأطرق إلـى الأرض بنظرة اختناق ، وبمنتهى الانكسار أجابها :

ـ من الآخر يا (هيـام) اطلبى فى حقك ما تشائين .

تدبرت كلماته لوهلـة ، دون أن تزحزح عينيهـا عن وجهـه ، لتجد نفسها تسأله فى هدوء :

ـ وتنفذ ؟

ـ دون مناقشة .

ـ كلمة شرف ؟

ـ كلمة شرف .

ودون أن تسحب نظراتها من فوق وجهه ، مدت يدها متناولـة حقيبتها من فوق (الكومودينـو) المجاور ، لتخرج منهـا علبـة مجوهرات ، مدت يدها بها إليه قائلة :

ـ تفضل !

حدّق فى العلبة ، متسائلاً :

ـ ما هذا ؟

ـ شبكتك كاملة .

شقته الصدمة :

ـ (هيام) !

ـ أعطيتنى كلمة شرف .

« ما هذا ؟ » رددها داخل نفســه وهو يحدّق فيهـا مبهوتـًا .. شعر وكأن حفرة سحيقة فتحت فاها فجأة وابتلعته ، بل هى التـى أسقطته فيها .. كيف ؟ لا يدرى .. ظلـت عينـاه معلقتين بعينيهـا فى ذهول كاد يتحول إلى دموع ، فأسرع بمغادرة الغرفة ، تاركـًا يدها معلقة فى الهواء بعلبة المجوهرات .

* * *

الفصل السادس

الأيام تمر على العاشق جريح القلب كأنها قطار يهرسه بمنتهى البطء .. لا هو يقتله فيريحه ، ولا هو يجلو من فوقه فيعتقه ، وكأنه يتلذذ بتعذيبه وأنينه ..

تحولت أيام (هيام) ولياليها إلى مساحات موصولة من العذاب .. عذاب قلب نُزعت منه قبضة لحم فصار مكانها تجويفًا يسيل دمًا ، فأى عذاب هذا الذى يكتوى به صاحبه ؟!

وقبضة اللحم التى انتزعت هنا هى (أحمد) .. والتجويف الذى ينزف دمًا هو مكان (أحمد) .. والقلب الذى يكتوى بكل هذا العذاب هو قلب (هيام) .. قلب فى رقة قلوب العصافير .. قلب مفطوم على الحب .. حب الخير والجمال والناس والحياة .. قلب لا يحتمل شكة دبوس ، فما بالنا بانتزاع قبضة لحم منه ؟! إذن لا شفاء من هذا العذاب إلا بعودة تلك القبضة التى تحمل الحياة ، ووصلها بوطنها الأم ..

وجدت (هيام) نفسها ترنو إلى موبايلها بعد ثمانية أيام من انقطاع رنة (أحمد) .. ها هو القلب الأبيض يصفو .. كل

المآسى تتوارى مع قطار الأيام الماضى ، ولا يبقى منها سوى آثار تتوارى أيضًا مع المزيد من مضى الأيام ..

ها هو الحنين يتحرك فى قلب (هيام) ، فترنو العين إلى (الموبايل) فى حنين إلى أحب رقم لديها .. رقم ساكن القلب الغائب .

عجيبة غيبته هذه !

هل صدَّق حقًا أنها لا تريده ؟!

أنها تستطيع الاستغناء عنه ؟!

والحياة بدونه ؟!

هل صدَّق هذا ؟!

وحتى لو صدَّق ..

فهل سلَّم بهذا ؟!

(أحمد) ؟!

كيف ؟!

إنه أبدًا ليس من الصنف الذى يستسلم بهذه السهولة .. من أبرز شيمه تمسُّكه الجبار بممتلكاته .. يخيَّل لمن يعرفه عن قرب

أن الموت أهون لديه من فقده لملكية يحوزها .. وهى فى النهاية لا يمكنها الفرار من حقيقة اعتباره لها إحدى ممتلكاته .. ثم إن هذه ليست أول أزمة تفصلهما ، وفى كل مرة كان يستميت فى استعادتها ، وكان ينجح .. وكان هذا فى الحقيقة يزيدها إعجابًا خفيًا به ، فقد كان يزيدها يقينًا بأنه رجل قوى .. فما الذى حدث له هذه المرة ؟ صحيح أنها وضعته فى موقف صعب بانتزاع كلمة شرف منه بأن يتركها ..

ولكن ولو ..

هل هو بالسذاجة بحيث لم يفطن إلى أن طلبها هذا لم يكن سوى ثأر لحظى لكرامتها .. وهو من الأصل جاء يومها لإرضاء كرامتها .. لو كان يفهم لزادها إرضاء بتمسكه بها مهما صَدّتْه ، ولكنه غبى لا يفهم الأنثى ..

الساعات تزحف ..

والأيام تزحف ..

و(الموبايل) لا ينطق برنة ساكن القلب الغائب ..

ماذا أصابه ؟!

أتطلبه هى ؟

وفوجئت الفتاة بالسؤال ، فإذا بها تنتفض ، وإذا بالجواب يتردد سريعًا فى داخلها بمنتهى الاستنكار والانفعال : « لا .. لا » .. وأسرعت بوضع الموبايل فوق جريدة أخبار الحوادث المستقرة فوق الكومودينو ، وإذا بعينيها تقعان على شىء ما .. صورة (أحمد) تتصدر غلاف الجريدة يعلوها مانشيت ضخم : « هذا الشاب أنقذ أسرة كاملة من الاحتراق » .. رفعت الجريدة فى يدها محدّقة فى الصورة والخبر غير مصدقة عينيها .. فتحت الجريدة تنظر فى تفاصيل الخبر ، فإذا به (أحمد هاشم) فعلاً .. انطلقت تجرى بعينيها على السطور التى تحكى شجاعة ومروءة الشاب الذى ألقى بنفسه فى النار ، لينقذ أمًا وأطفالها الأربعة من حريق شقتهم قبل أن تدركهم المطافئ ، وليستقر هو فى المستشفى مصابًا ببعض الحروق ..

يااااااه ...

مليون طن من المشاعر هبط فوق رأس (هيام) وفوق عقلها وقلبها وكل كيانها .. مشاعر لا تعرف لها وصفًا ولا مُسَمًى غَمَرَتْهَا غمرًا .. وجدت نفسها تحدّق فى صورة فتاها

بمنتهى الانفعال ، وكأنها تريده أن ينطق ، أو يتحرك ، أو يخرج إليها من بين الأحبار ، كى ينتشلها من طوفان مشاعرها ..

ولكن .. من الذى فى حاجة إلى مَن الآن ؟

هو الذى فى أمسِّ الحاجة إليها ..

وجدت نفسها تهتف بكل ما فى قلبها من نبض :

ـ حبيبى !

وفى لحظات كانت تنطلق مغادرة الشقة كالسهم المارق ، غير ملتفتة لنداءات خالتها ..

وفوجئ بها (أحمد) واقفةً بباب غرفته بالمستشفى ، تحدِّق فيه بذلك المليون طن من المشاعر .. كان يرقد فى فراشه ، ليس به سوى بعض الحروق البسيطة فى يديه وقدميه .. وكان سارحًا ببصره فى سقف الغرفة ، حين فوجئ بها متسمرة بالباب ! انبثقت فرحة العمر فى وجهه حتى استحال بلُورة ساطعة من الفرحة الخالصة ، بينما تعلقت عيناه بها غير مصدِّق .. وحينما صدَّق ..

وحينما انتبه إلى أن وقفتها قد طالت ، وجد نفسه يبتسم فاتحًا ذراعيه ، قائلاً لها :

ـ لا تقفى مثل المسمارِ .

ووثبت فى حضنه ، بينما أغمض هو عينيه على حياته التى عادت .

* * *

الفصل السابع

لا ليل إلاّ ويعقبه نهـار .. ونـور الفجر لِمَن طـال عليـه الليل أحلى من حلاوة الروح .. وحينما يبزغ الفجر على معذَّب الليل ، ينطلق الأخير ينهل من هذا النور بشراهة جنونية ، وكأنـه ينهل من رحيق الحياة من بعد كأس الموت .

هكذا راحت (هيـام) تفعل .. اندفعت تغتنم كل لحظـة لهـا مـع حبيبها فى رى قلبها .. هذا القلب الذى لا يقبل قوتًـا ولا شـرابًا سوى الحب .

أخذته من يده بمجرد مغادرتـه المستشـفى ، وانطلقت بـه فـى ربوع الحياة ..

نزهات ..

رحلات ..

سهرات ..

اشرب أيها القلب الرقيق ، فقد قسا عليك الظمأ ..

وبدا (أحمد) وكأنه يستميت فى التكفير عن ذنبه من ناحية ، وفى إثبات أنه تغيَّر وتفهَّم من ناحيـة أخرى .. وبدت (هيـام) وكأنها تجاهد لاغتنام الفرصة بتجاهل أى شىء يعكر صفوها مـع حبيبها ..

حتى مرضها ذاته ..

ففـى أول جلسـة عــلاج لهـا بعـد خـروج حبيـب قلبهـا مـن المستشفى ، صدمها طبيبها بخبر فى منتهى القسوة .. دمها كلـه يحتاج إلى تغيير .. نتيجة منطقية لليالى السوداء التى عاشتها فى صدامها الأخير بحبيبها .. دمها كله احترق ، وعجز القلب العليل عن تعويضها بدم جديد غيره ..

إذن فلابـد مـن تغيير دمهـا كلـه فورًا ، وإلا تعرضت حياتهـا للخطر .. وليت الأمـر توقف عنـد هذه الصدمة فقط .. الصدمـة الأكبر أن تكلفة العملية لا تقل عن العشرين ألف جنيه !!

من أين ؟

الأدوية المستمرة تستنزفها ، ولم تترك لها من شقاء خمس سنوات فى النادى سوى ألفى جنيه ، كانت تدخرها لجهازها ، و(أحمد) ينفق كل دخله على تجهيز الشقة وتأثيثها ..

مادت بها الأرض وهى تصغى إلى الطبيب .. ازدادت يقينًا بأن القدر لن يفك قبضته عنها .. أنه يترصدها وكأنها غريمة له .. ألا يعلم كم هى ضعيفة ، ولا تحتمل ضغطه هذا ؟

ها هو الشيطان يهم بأن يلعب برأسها .. انتبهت له ، فأسرعت تستغفر ربها .. وحينما خرجت إلى حبيبها الذى كان فى انتظارها باستراحة العيادة ، كانت ابتسامتها الحلوة تشرق فى وجهها كشمس الربيع .. تأبطته قائلة له :

- أيمكننا أن نخطف زيارة إلى خالتى ؟ أريد أن أشكرها على حسن ضيافتها لى .

داعبها وهو يخرج بها من بوابة المستشفى :

- أنفى يشم رائحة شىء آخر غير الشكر ..

وكان ردها مداعبة :

- سأحاول حجز أسبوعين آخرين لديها لغضبتنا القادمة .

التفت إليها ضاحكًا ، متأملاً وجهها بنظرة باسمة :

- بعينك .. لن أغضبك مرة أخرى .

تلقت دعابته بسعادة ، قائلة :

- سنرى .

وانطلق بهما التاكسى ، لتتلقاهما الخالة الطيبة بترحاب وسعادة .. وضمتهم معًا جلسة جميلة دافئة ، أضفى عليها (وائل) ابن الخالة جوًّا بهيجًا بخفة ظله المتناهية .. شاب وسيم يقارب (هيام) فى السن ، ويعاملها بتلقائية شديدة جعلت مزاحه ودعاباته لها لا تنقطع طوال الجلسة ..

وتحرك شيطان الغيرة داخل (أحمد) .. من الطبيعى أن يتململ الشيطان ضيقًا بصفو أى حبيبين ، ويتحيّن الفرصة لتعكيره .. وها هو قد وجدها هنا .. تحرك وراح يلعب بعقل (أحمد) حتى طفح الاختناق على وجهه من مداعبات (وائل) لـ (هيام) ، ولكنه راح يجاهد فى كبح جماح شيطانه حتى نهضت (هيام) بصينية الشاى ، ماضية بها إلى المطبخ كى

تغسلها قبل أن تنصرف .. وبتلقائية لحق بها (وائل) بأطباق بقايا الحلوى التى كانت أمامهم على المنضدة .. وراح الاثنان يتعاونان فى غسل الأطباق والأكواب ، حتى شقت صرخة (أحمد) آذانهما :

ـ (هيام) !

وسقط الكوب الذى كان فى يد الفتاة على الأرض من الصرخة ، وقفزت إلى حبيبها فى الصالة ، فإذا به يخطفها من يدها ، وينطلق بها مغادرًا الشقة ، تاركًا الخالة وابنها جامدين فى مكانيهما من الصدمة .. وأمام العمارة أسرع بوضع الفتاة فى تاكسى قائلاً لها بِغِلٍّ رهيب :

ـ لا ترينى وجهك مرّة أخرى !

وصرخ فى السائق :

ـ امش !

وانطلق السائق بسيارته مذعورًا ، بينما طار عقل (هيام) من الصدمة ومن الذهول .. أسرعت ترن على الفتى من

موبايلها ، فإذا به يغلق التليفون فى وجهها .. أسرع السائق يسألها بذهوله وذعره هو الآخر :

ـ إلى أين يا آنسة ؟!

تلفتت حولها مذهولة لا تعرف بماذا تجيبه ، فإذا بالتاكسى يمر أمام النادى ، أسرعت تجيبه :

ـ هنا .. أنزلنى هنا !

دخلت النادى وهى تترنح .. ولمحها (زيزو) فوق السلم ، فأسرع يرتقى درجاته قفزًا ، ليتلقاها بيديه ، متسائلاً فى انزعاج :

ـ (هيام) ! ماذا بك ؟

وأجابته الفتاة بصعوبة :

ـ متعبة من جلسة العلاج .

مضى بها إلى مكتبها ، وهو يلاطفها بدعاباته الرقيقة محاولاً شد أزرها .. أجلسها خلف المكتب ، قائلاً لها :

ـ حالاً سأحضر لك كوب حليب ساخن ..

وانطلق إلى البوفيه .. لحظات وعاد بكوب الحليب ، وضعه بين يديها ، قائلاً :

ـ ثانية واحدة .

وانطلق مهرولاً ، ليرتد إليها سريعًا بشىء فى يده ، جعل ابتسامتها الربيعية الفاتنة تشرق فى وجهها .. وردة بيضاء اقتطفها من أشجار الورد التى تعتلى سور النادى ، ناولها لها قائلاً بخفوته العذب :

ـ صباح الورد على أجمل وأرق وردة فى الكون .

وخفق قلب الفتاة الجميلة ، وانفلتت من عينيها السوداوين الفاتنتين نظرة خافقة على وجه الفتى الجميل الرقيق ، لم تملك بعدها إلاَّ أن تجيبه قائلة كالحالمة :

ـ يا لك من سلوان جميل يا (زيزو) !

حلّق بنظراته الباسمة الحلوة على وجهها القمرى ، قائلاً :

ـ لا شىء فى الوجود أجمل من الوردة البيضاء .

كان يقصدها هى لا الوردة التى فى يدها ، مما جعل ابتسامتها تزداد جمالاً وإشراقًا ، وهمت بأن تجيبه بشىء ، فإذا بالجواب يأتيه من حيث لا يتوقّعان بالمرة :

ـ شكرًا على هذه المجاملة الرقيقة يا سى (زيزو) .

وتسمرت نظرات الاثنين على (أحمد) ، وقد وقف بينهما يحدجهما بنظرة ساخرة ، جلس بعدها أمام المكتب واضعًا ساقًا فوق ساق ، وراح يشعل سيجارة لنفسه ، لينفث دخانها فى وجه (زيزو) ، ثم يقول له بمنتهى العنجهية :

ـ هيّا يا سى (زيزو) امسح هذا المكتب ، ثم ائتنى بقهوتى .

وفوجئ (زيزو) ، والتفت إلى (هيام) متسائلاً ، فإذا بها مندهشة مثله ، وإذا بـ (أحمد) هو الذى يجيبه بنفس عنجهيّته وسخريته :

ـ ماذا يا (زيزو) أفندى ؟ هل طلبت منك شيئًا غريبًا ؟

وأدرك (زيزو) أن (أحمد) غير طبيعى ، فأسرع يتمالك نفسه ، قبل أن يجيبه فى أدب ، محاولاً تمرير الموقف :

ـ لا يا أستاذ (أحمد) .. أنا تحت أمرك .

فإذا برد (أحمد) ، وقد طغت عنجهيته إلى حد لا يُحتمل :

ـ طبعًا يا حبيبى تحت أمرى .. ألست أنا عضوًا هنا فى النادى وأنت لست أكثر من خادمٍ فيه ؟

وصـُعق (زيزو) ، بينما انطلقت هتفة (هيام) بمنتهى الغضب والعصبية :

ـ (أحمد) !

ودوت قذيفة (أحمد) فى وجهها :

ـ اخرسى !

وفغرَ فم الفتاة ، وراحت تحدّق فيه مبهوتة ، فإذا به يجهز عليها تمامًا :

ـ كلمة واحدة أخرى ، سأسحبك من شعرك حتى البيت .

ـ لا تستطيع !

هكذا جاءه الرد ، قذيفة مضادة مدوية ، ولم تكن صاحبتها سوى (شهيرة) ، والتى انشقت عنها الأرض فجأة ، ليفاجأ بها (أحمد) منتصبة فى وجهه بمنتهى التحدى والغضب ، فلم يشعر بنفسه وهو ينهض مبهوتًا محدقًا فيها ، ومتسائلاً بِجَمّ ذهوله :

ـ ماذا تقولين يا شاطرة ؟

وإذا برد (شهيرة) بنفس القوة والتحدى :

ـ ما سمعته يا أستاذ .. وليتك ترحمها وتنصرف الآن .

وصرع الذهول كيان (أحمد) :

ـ ماذا ؟! أتطردينني يا فتاة ؟!

وكان رد (شهيرة) بمنتهى القرف :

ـ يا رجل ! يا رجل ! أهذا هو تخفيفك عنها وهى عائدة من المستشفى ؟ أهذا هو حضنك الذى يعينها على مرضها ؟ أهذه هى وقفتك معها فى شدتها ؟ أين

الإحساس يا رجل ؟ دعك من كونها خطيئتك .. اعتبرها واحدة غريبة ، ولكنها مريضة ، وفى حاجة إلى الرحمة ، فهل هذه هى رحمتك ؟ أين النخوة ؟ أم ضاعت هى الأخرى مع إحساسك ؟

وابل من النيران راح يحصد أعصاب (أحمد) ، منتهيًا بهذه القذيفة التى فتكت بآخر عقدة فى رباطة جأشه ، فكانت انتفاضته الجنونية ، يريد الانقضاض على (شهيرة) ، فإذا به يصطدم بقامة الأستاذ (سيد الروبى) ، وقد انتصب أمامه ببنيانه القوى ، وبنظراته الغاضبة المريعة .. إنه أقدم أعضاء النادى ، وأكبرهم مكانة ومهابة ، وهو ما جعل البعض من أعضاء النادى والعاملين به يصفونه بالديكتاتورية ، ولكنها فى الحقيقة لم تكن ديكتاتورية بقدر ما كانت اعتزاز المحامى الناجح المثقف بنفسه وبكبريائه .. لقد سمع الرجل الحوار كاملاً بين الأطراف الأربعة من مجلسه أمام التليفزيون القريب منهم ، ولكنه لم يشأ أن يتدخل فيه باعتباره شأنًا خاصًا بهم ، ولكن حينما بلغ الأمر من

(أحمد) هذا الحد وجد نفسه مضطرًا للتدخل .. وفوجئ به (أحمد) يقول له بلهجة آمرة قاطعة :

ـ اخرج من هنا !

وصُعق (أحمد) ، وتحركت شفتاه تريدان النطق بشىء ، فإذا بالأستاذ (سيد) يقطع عليه الطريق فى حسم مريع ينذر بكارثة :

ـ لن أكررها !

وفى لمح البصر كان مدير النادى وأعوانه من أمن النادى يحيطون بـ (أحمد) فى تحفز ..

وأسقط فى يد (أحمد) ..

ووجد نفسه يلتفت إلى (هيام) بذهوله ، فإذا بها أكثر ذهولاً منه .. إنها لا تستطيع رد كلمة الأستاذ (سيد) الذى هو فى مكانة والدها ، ثم إنه تدخّل لأجلها ، فكيف تحرجه ؟! وهى فى الوقت ذاته انشق قلبها لإهانة حبيبها ، ولموقفه الصعب الذى وضع نفسه فيه بغبائه .. كيف بلغ الأمر هذا الحد ؟! راحت تحدّق فى حبيبها بكل ذهولها ، ثم التفتت إلى الأستاذ (سيد

الروبى) تريد أن تسترحمه كى يتراجع عن موقفه .. ولكن كان من الواضح أن زمام الأمر قد انفلت ، ولم يعد يصلح فيه تراجع .. عادت بعينيها الذاهلتين إلى حبيبها ، فإذا به يتفرسها بعينين متقدتين بالغل والوعيد ، فازدادت انهيارًا ، ولم تعد تدرى ماذا تفعل أو تقول .. وأطبق الصمت والترقب على الجميع ، وهم يحدقون فى (أحمد) ، وقد شعروا وكأنهم فى موقف خانق لا نهاية له .. ولكن فجأة ظهر من ينهيه .. الأستاذ (نور) .. تقدم من (أحمد) ، قائلاً له بأدبه الجم :

ـ تفضل معى يا أستاذ (أحمد) .

وبدا (أحمد) وكأنه أمسك بطوق نجاة .. التفت إلى الأستاذ (نور) بنظرة طويلة ، ثم استدار منصرفًا معه .. ولكنه قبل أن يستدير كان قد خلع دبلة الخطوبة من أصبعه ، قاذفًا بها فى وجه (هيام) .

★ ★ ★

الفصل الثامن

عشرة أيام و (هيام) تبحث عن حبيبها ، ولا أثر له .. لا هو مع أحد من والديه ، ولا لدى أحد من أصدقائه أو أقاربه .. فص ملح وذاب .. ومع اختفائه اختفت الحياة من موبايله .. أغلقه أو غير الخط .. الله أعلم .. عشرة أيام زحفت بالمسكينة وكأنها الدهر بأسره .. لا نوم ، ولا طعام ، ولا حتى عمل بالنادى .. لا شىء سوى الدموع ، وأنين القلب العليل ، والسعى فى الشوارع بحثًا عن الحبيب الغاضب الغائب ، حتى كادت روحها تُزهق من فرط الغم والإجهاد واليأس ، لولا أن جاءها الغيث فجأة فى مكالمة تليفونية من أحد أصدقائه ، يخبرها بأن حبيبها موجود لديه ..

وطارت الفتاة المسهدة بلهفة جنونية تكاد توقف قلبها .. دخلت عليه فى شقة صديقه ، فإذا به جالس واضعًا ساقًا على ساق ، وسيجارته فى فمه ، وعيناه مرفوعتان إليها تتلقيانها بعنجهيته المحفورة فيه ، وبنظرة شماتة تكاد تحرقها

حرقًا .. ولكن الحبيبـة الملتاعـة لم تر شيئًا من ذلك .. لـم تـر عنجهيته ، ولا شماتته ، ولا سماجته .. لم تر سوى حبيب قلبهـا الذى عثرت عليه كقطرة غيث تحمل معها كل الحياة ..

تسمرت أمامه تحدق فيه بطوفان منفجر من الفرحة واللهفة والعتاب .. لم تنبس ببنت شفة من شدة انفجارهنّ معًا ، مما دفع الصديق الذى فتح لها باب الشقة إلى الابتسام ، متسائلاً :

ـ ما هذا يا (هيام) ؟ أهذا هو سلامك ؟!

والتقطتها (هيام) منه ، فإذا بها تقفز فوق يد حبيبها تغمرها بالقبلات وبدموع الفرحة ، وبانفعـال محموم حبس الكلمات فى حلقهـا ، وجعـل دموعهـا تجـرى على خديها ، متساقطة على يده .. كل ذلك والحبيب كما هو فى مقعده ، لا يتحرك له ساكن .. فقط تسمرت عيناه عليها ، حتى رفعت عينيها نحوه منادية عليه بدموعها :

ـ حبيبى !

وأجابها حبيبها .. بمنتهى البرود :

ـ ليس هنـا . بل فى النـادى .. أمـام نفس النـاس الذين طردونى ..

وكان رد الفتاة بأسرع من البرق :

ـ بل أمام العالم كله إن شئت .. يا قرة العين .

وأسـرعت تختطفـه مـن يـده ، منطلقـة به صوب النـادى .. وفـى دقـائق كـان (أحمـد) يجلس فى النـادى ، نفـس جلسـته العنجهيـة .. السـاق فـوق السـاق ، والسيجارة فى فمـه ، والنظـرة المتعـالية مرسلة من عينيـه إلى الأمـام ، بينمـا (هيـام) واقفـة أمـامـه ، تنـادى (زيـزو) و (شـهيرة) والأستاذ (نـور) والأستاذ (سيد الروبى) ، ومدير النـادى ، وموظفى الأمـن .. وجـاء على ندائها بقيـة العـاملين بالنـادى ، حتى إذا ما اكتمل الجمع ، أسرعت (هيـام) تخـاطبهم جميعًا ، قائلة :

ـ يا حضرات .. أمامكم جميعًا أعتـرف بأننى أخطـأت فى حق خطيبى وحبيبى الأستاذ (أحمد هاشم) ، وأمامكم جميعًا أتوسل إليه أن يسامحنى .

وراحت الفتاة تدور بعينيها الدامعتين على الواقفين جميعًا ، ثم إذا بها تستدير نحو حبيبها الجالس فى مقعده ، وتنزل أمامه على ركبتيها ، منحنية على يده تقبلها بالدموع ، بينما العيون تحدق فيها مذهولة فى صمت مطبق ، وكان أكثر الشاهدين ذهولاً (زيزو) ، لقد صُدم بهذا الهوان الـذى لا تقبلـه كرامـة ولا إنسـانية ، ودوّت فى أعماقه صرخة ساخطة مستنكرة : « ما هذا الـذى تفعلينـه يا (هيام) ؟ »

وانفلتت من عينيه نظـرة غضب التهمت الفتاة الراكعة على ركبتيها ، ولكن الفتاة لم تكن معه ، ولا مع أحد من الواقفيـن .. كانت فقط مع حبيبهـا .. رفعت وجههـا نحوه لترى إذا مـا كـان رضى عنها ، أم يريد المزيد .. وجاءها جواب الحبيب .. مد يـده بسيجارته إلى المنفضة التى أمامه ، وراح يطفئهـا فيها بمنتهى البـرود ، ثم نهض واقفًا مطـلاً على الفتـاة مـن أعلى بنظـرة احتقـار ، رفع بعدهـا عينيــه إلـى الواقفين ، وراح يـدور بهمـا

عليهم جميعًا بنظرة تعالٍ وابتسامة سخرية ، ثم استدار منصرفًا بمنتهى البرود والعنجهية ، تاركًا الجميع جامدين فـى أماكنهم كأعجـاز نخـل ، وتاركًا الفتـاة مكوّمـة علـى الأرض فـاقدة الحــراك .

* * *

واستقر جسد (هيـام) فـى العنايـة المركـزة موصــلاً بكافـة الأجهزة الطبية الحديثة التى تعينـه على التشبث بالحياة .. بدت بجسدها النحيل ، وبوجهها الرقيق الشاحب المستسلم للغيبوبة ، وكأنها عصفور رقيق ضعيف وقع فى شباك صياد بغيض لا يرحم .. ولم يكن الصياد هنا سـوى الفيروس اللعين الـذى انتهز فرصـة انهيار مقاومتها ، وانطلق يستبيح قلبها الطرى بشراهة الشياطين .. وها هى المسكينة مستسلمة له تمامًا وهو يسحبهـا إلى غياهب الهلاك التى لا رجعة منها .. لم يكن أحد معها فى الغرفة فى هذه اللحظات القاسية ، ومع ذلك لم تكـن وحيدة ، فخـارج الغرفـة .. خلف الفاصل الزجاجى الضخم ، كـانت ثمـة عينـان تحتضنانهـا ، وهما تذرفان الدموع الساخنة فى صمت حزين .. عينا (زيـزو)

الذى وقف خلف الفاصل الزجاجى يحتضن وردته الساكنة فى فراشها مغمضة العينين ، كملاك رقيق مسالم سكن البرزخ الفاصل بين الحياة والموت .. وقف يحتضنها بعينيه وبقلبه وبروحه ، وبكل ذرة فى كيانه .. لم تكن عيناه هما اللتان تبكيان فى هذه اللحظات ، بل كان قلبه ..

قلبه المغلق على حب نبيل وعظيم لـ (هيام) !!

نعم حب ..

حب غُرست بذرته فى قلبه من عند الله منذ أيامهما الأولى فى النادى ، ثم راحت الفتاة الرقيقة ترويها برقتها وبحنانها وبطيبة قلبها على مدى خمس سنوات هى عمر زمالتهما فى النادى ، حتى صارت البذرة شجرة تملأ القلب أغصانًا وثمارًا وظلالاً يحيا القلب على نعيمها .. ولكن النعيم كان على موعد مع القدر ليبدله شقاءً مقيمًا قاسيًا .. ففى اليوم الذى استجمع فيه (زيزو) شجاعته ، وقرر أن يبوح لحبيبته بما فى قلبه ، فوجئ بالحبيبة تقبل عليه بكل فرحة الدنيا لتخبره بخطبتها لـ (أحمد) .. لحظتها سمع (زيزو) آهة قلبه مدويّة تشق كيانه .. وشعر

بنور الدنيا ينطفئ فى عينيه ، ومع ذلك لا يدرى كيف وجد نفسه يبتسم لها مهنئًا ..

ولو أن الحبيبة لحظتها خرجت لوهلة واحدة من أطياف فرحتها ، ودققت النظر فى عينى زميلها ، لروّعتها صرخة الصدمة التى شقت قلبه وكيانه .. ولكنها لم تخرج ، ولم تر ، ولم تسمع .. بل تركته جامدًا فى مكانه بصدمته ، وانطلقت توزع فرحتها على كل من يصادفها .. ولم تكن تدرى أنها الفرحة التى تحمل فى طياتها الهلاك المحقق الذى قادها إلى هنا الآن .

ساعات مضت و (زيزو) واقف أمام الفاصل الزجاجى محتضنًا الحبيبة ـ المستسلمة تمامًا لغيبوبتها ـ بعينيه الدامعتين .. حتى أشفقت عليه أمها ، والتى كانت تجلس بمقعد خلفه تبتهل إلى الله أن يترفق بها وبوحيدتها ، فنهضت تسحبه من يده لتجلسه بجوارها .. ووجدت نفسها تسأله بدموعها هى أيضًا :

ـ أتحبها إلى هذا الحد يا (زيزو) ؟

ورفع (زيزو) عينيه نحوها ليجيبها ، فإذا بدموعه تغلبه ، وإذا به يرتمى فى حضنها منفجرًا فى البكاء .

* * *

وفى غـرفـة مكتبـه راح الدكتـور (رمزى) يهز رأسـه فـى أسى وهـو يجلس إلى مكتبـه ، ثم رفـع وجهـه إلـى الجالسين أمامه ، الأسـتاذ (نـور) و(سيد الروبى) و (شـهيرة) قـائلاً لهـم :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. دخلت فى مرحلة حرجة .

أطرق الجمع غمًّا ، ولكن (سيد الروبى) مـا لبث أن رفـع وجهه إلى الطبيب قائلاً :

ـ دكتور (رمـزى) ! إذا كان عـلاجها يحتـاج إلى إمكانيات طبية معينة ، فنحـن مستعدون لنقلها إلى أحدث مستشفى فى (مصر) .

وكان رد الطبيب فى هدوء :

ـ لن يقدموا لهـا أكثر مما نقدمه لهـا نحن هنا .. ثم إننى طبيبهـا المشرف على حالتها من بدايتها .

أسرع الأستاذ (نور) يتدخل بأدبه الجم :

ـ عفوًا يا دكتور .. الأستاذ (سيد) لـم يقصد مطلقًا التقليل من كفاءة حضرتك ، ولكنه فقط يتحدث عن إمكانيات المستشفى .

عاد الأسى إلى نبرة الطبيب :

ـ لم يعد الأمر فى حاجة إلى إمكانيات يـا أستاذ (نـور) ، بل إلى معجزة من السماء .

هنا وجدت (شهيرة) نفسها ترفع عينيها إلـى أعلـى مغمغمـة بالدموع :

ـ يا رب ..

وانكفأت بوجهها علـى يدهـا منخرطـة فى البكـاء ، ممـا جعل الأستاذ (نور) ينهض شاكرًا الطبيب ، ومستأذنًا فى الانصراف .. مضـى مـع رفيقيـه إلـى العنايـة المركـزة ، ليجـدوا (زيـزو)

و (نانسى) واقفين أمــام الفـاصل الزجـاجى .. وقفـوا معهمـا يحتضنون الفتاة الغائبة عن الدنيا بعيـون يملؤها الحب والحزن والدموع ، حتى التفتت (شهيرة) إلى (زيزو) ممسكة بيده :

ـ هيا يا (زيزو) .

وكان رد (زيزو) دون أن يرفع عينيه الدامعتين عن وردته :

ـ سأبقى هنا .

ـ لن يسمحوا لك ، فالساعة الآن تجاوز العاشرة ليلاً .

ـ لن أتركها وحدها .

تدخَّل الأستاذ (نور) :

ـ الله معها يا (زيزو) .. هيا معنا ، وعد إليهـا فى الصباح .. وجودك هنا الآن ممنوع .

التفت (زيزو) إلى الأستاذ (نور) ليجيبـه بشـىء مـا ، فـإذا بـ (نانسى) هى التى تربت عليه ، قائلة :

ـ هيّا يا (زيزو) .. سنأتيها غدًا أنا وأنت .. هيا نصلّى لأجلها .

وأخذت بيده بمنتهى الحنو ، فمضى معهم ، وهو من خطوة لأخرى يلتفت إلى الخلف ، متشبثًا بعينيه وبقلبه وبروحه .. بـوردته الساكنة فى فراشها حتى غادر بوابـة المستشفى .. عاد إلـى منزلـه وكأنه لم يعد .. فلا طعام ولا شراب ولا نوم .. جلس القرفصـاء فى فراشه ذاهل الخاطر ، ترتع فى أعماقه تساؤلاته الحَيرى .. لماذا أنت يا (هيام) دون سواكِ ؟! لمـاذا أنـت مـن دون بنـات العـالم التـى يحـدث لهـا هـذا ؟! لمـاذا حظـك العـاثر فـى أبيك ؟! ثم فـى حبيبك ؟ ثم فى صحتـك ؟! لمـاذا ؟! لمـاذا ؟! هـا هـو العـالم يعـج بفتيات ينعمن بكل هذا وأكثر .. ينعمن بـالأب وبـالحب وبالصحـة وبالسعادة .. ها هُنَّ الفتيات فى كل مكان يمرحن ويفرحن ويحببن ويتدللن ، ويملأن الدنيا بهجة وفرحة .. فلمـاذا أنت من دونهن جميعًا التى حط عليك القدر هكذا ؟! أية حكمـة لـه فى هذا ؟! أية حكمة ؟!

وكاد السؤال المؤلم ينطلق من أعماق الفتى ومن فمه صرخـة مدويّة تشق سكون الليل ، لولا أن دخل أبوه فى هذه اللحظة .. رجل طيب تقى مثقف .. فوجئ بجلسة ابنه هكذا فى هذه الساعة التـى

تقارب أذان الفجر ، وباحتقان وجهه وكأنــه يحتضر ، وبشروده عن الدنيا وما فيها وكأنه مخطوف فى عالم آخر .. أسرع يناديـه بانزعاج وهو يجلس إلى جواره :

ـ (زيزو) !

وانتبه (زيزو) على صوت أبيه .. التفت إليه بعينين تختنقان بكل حزن العالم ، وأجابه فى شبه ذهول :

ـ نعم يا بابا .

ـ ماذا هناك يا بنى ؟!

تعلقت عينا الفتى بأبيه للحظة قبل أن يجيبه بذهوله :

ـ (هيام) يا بابا .. (هيام) تموت فى المستشفى .

أطرق الرجل حزنًا :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

ولكنه ما لبث أن انتبه على سؤال ابنه الذاهل :

ـ لماذا يا بابا ؟

ـ ماذا تعنى يا بنى ؟

ـ لماذا هى من دون بنات العالم ؟

وفهم الأب .. أسرع يستغفر الله ، ثم يرد على ابنه بانزعـاج وتحذير :

ـ (زيزو) يا بنى .. إنه الشيطان !

وإذا بالفتى ينتفض من الفراش فى عصبية :

ـ الشيطان ؟! الشيطان هو الذى أتعسها فى أبيها ؟! هو الـذى أتعسها فى حبيبها ؟! هو الـذى أمرضهـا ؟! الشيطان هو الـذى فعل بها كل هذا ؟!

وازداد الرجل انزعاجًا ، هب واقفًا هاتفًا فى ابنه بانفعال :

ـ (زيزو) يا بنى ! (زيزو) !

ولم يهدأ الفتى :

ـ نعم يا بابا .. نعم .. أنـا فقط أريد أن أفهم .. أليس من حقى أن أفهم ؟ ألم يهبنا الله العقل كى نفهم ؟

ـ وهى ليست معضلة يا بنى .

ـ ماذا تكون إذن ؟

ـ بلاء .

ـ بلاء ؟!

ـ نعم يا بنى بلاء .. بلاء من الله .. ولو أنك كنت تعلم ثواب العبد الصابر على البلاء ، لعلمت كم يحب الله هذا العبد ، حتى إنه اصطفاه بهذا البلاء .

ـ وهل من الرحمة أن يحطّ بلاء بهذه القسوة على بنت ضعيفة كهذه ؟!

وانفلتت هتفة الأب عصبية مستنكرة :

ـ وهل أنت أرحم بها من ربها ؟ ماذا دهاك يا بنى ؟

وهمّ (زيزو) بأن يرد بانفعاله ، ولكن الرجل أسرع يكبح جماحه :

ـ اهدأ يا بنى ! اهدأ !

وأمسك الرجل عن الكلام لبرهة ، مانحًا الفرصة لابنه ولنفسه أيضًا كى يهدأا ، ثم دنا منه يسأله فى حنو :

ـ هل سبق لك يا (زيزو) أن سمعت بصانع هانت عليه صنعته ؟ بفلاح هانت عليه زرعته ؟ بشاعر هانت عليه قصيدته ؟ هل سبق لك أن سمعت بشىء من ذلك يا بنى ؟ أجبنى من فضلك .

وأجابه الابن بإيماءة نفى ، فكان سؤال الرجل له :

ـ إذن فكيف سيهون الإنسان على ربه الذى خلقه عن حب ؟ وباهى به ملائكته ؟ ورفعه على سائر خلقه ؟

وأُسقط فى يد الشيطان اللعين الذى جاء محاولاً اصطياد الفتى الطيب ، وإذا بأذان الفجر يرتفع قادمًا من كافة مساجد الحى ، فلم يملك اللعين إلا أن يتولى مدبرًا ، تاركًا (زيزو) يستغفر ربه بالدموع ، بينما أبوه يقول له بمنتهى الحنو :

ـ هيّا بنا يا (زيزو) .. هيا بنا نصلى ، وندعو لها .

* * *

الفصل التاسع

انطلقت صرخة (زيزو) مدوية وهو يقفز من التاكسى :

ـ (أحمـ اااااد) !

كان (أحمد) يسير فوق رصيف شارع الجلاء مختنقًا شارد الذهن حين فوجئ بالصرخة ، وبـ (زيزو) مندفعًا نحوه غير مبالٍ بالسيارات المندفعة بنهر الطريق ، حتى انقض عليه مطبقًا على عنقه ، صارخًا فيه :

ـ أخيرًا وقعت فى يدى يا بن الـ ...

وشلت المفاجأة (أحمد) ، بينما اندفع (زيزو) يصرخ فيه ، وهو يخنقه :

ـ من ثمانية أيام وأنا أبحث عنك .

وبصعوبة ، وبصوت متحشرج ، وهو يحاول تحرير رقبته من قبضتيه ، سأله (أحمد) :

ـ ماذا هناك يا مجنون ؟

وجاءه جواب (زيزو) بمنتهى السخط والغيظ :

ـ ألا تعرف ماذا هناك ؟ هناك ضحية لغشمك .

وكادت روح (أحمد) تزهق بين قبضتى الفتى الغاضب ، فلم يجد مفرًا من إنقاذ نفسه ، انطلقت منه لكمة كالقذيفة فى بطن (زيزو) ، أطاحت به على الأرض وهو يصرخ ألمًا .. وكانت فرصة لـ (أحمد) ليجهز عليه ، ولكنه لم يفعل ، بل راح يحدق فى الفتى المطروح على الأرض ، وهو يلهث فى ألم من أثر خنقه فيه ، حتى إذا ما استطاع النطق ، انفجر صارخًا فى الناس الذين تجمهروا حولهما :

ـ هيا أنت وهو .. هيًا .. إنه أخى .

وانفض الناس ، فالتفت (أحمد) إلى (زيزو) يسأله :

ـ ماذا فعلت لك ؟

وكان رد (زيزو) وهو ينهض ممسكًا ببطنه :

ـ ليتك فعلت فىَّ أنا .. ليتك قتلتنى أنا .

وفهم (أحمد) ، فإذا بالغم يطفح على وجهه حتى كاد يعميه .. أطرق مبعثرًا نظراته المخنوقة على الأرض ، وهو يردد فى ذهول وندم :

ـ بل ليتنى أنا الذى مت قبل أن أفعل بها هذا .. أنا حتى الآن لا أدرى كيف فعلته .. كيف ذبحتها بهذه البشاعة ؟! كيف أعمانى الشيطان فملأنى غِلاً منها يوم أن طردتمونى من النادى أمامها ؟ كيف صوّر لى الأمر على أنها كانت سببًا فى كسر نفسى أمامكم وعَلَىَّ أن أكسر نفسها ؟

وانفلت سؤال (زيزو) بمنتهى السخرية :

ـ وهل كسرتها أم كسرت نفسك أنت ؟!

وألجمت القذيفة (أحمد) ، فكانت فرصة لـ (زيزو) كى يفش غليله فيه :

ـ هذا الشيطان الذى تتكلم عنه أعماك وصوّر لك كل هذا ، ولم يصور لك ما فعلته أنت بها منذ أن وضعت دبلتك فى أصبعها ؟ لم يصور لك نفسك وأنت تكسر نفسها بمناسبة وبدون مناسبة ؟ لم يصوّر لك نفسك وأنت تحطم قلبها العليل يومًا بعد يوم ؟

وأنت تطفئ الحياة فى قلبها وفى عينيها حتى جعلتها بلا حول ولا قوة ؟ شيطانك صور لك كل هذا فى موقف أنت الذى وضعتها فيه ، ولم يصور لك أنك أنت الذى جعلتها عاجزة فيه ؟ جعلك ترى عجزها فى موقف سخيف من صنعك ، وأعماك عن تجبرك عليها طيلة سبعة أشهر ؟

وطغى قرف (زيزو) حتى كاد يمسك بعنقه مرة أخرى ، وهو يردف له :

ـ يا أخى .. يا أخى .. الحيوانات ذاتها لا تخلو قلوبها من الرحمة ، فكيف خلا قلبك أنت منها ؟!

ولم يحتملها (أحمد) ، صرخ فيه :

ـ كفى .. كفى يا (زيزو) .. ارحمنى .

وفوجئ (زيزو) :

ـ أرحمك ؟!

وانفلتت ابتسامته الساخرة ، مردفًا :

ـ أنت الذى تطلب الرحمة ؟

وإذا برد (أحمد) فى اختناق ينذر بالانفجار :

ـ نعم أنـا الـذى أطلبهـا .. ألسـت إنسـانًا مـن لحـم ودم ؟ أنـت لا تعرف ماذا يجرى بداخلى من يومها .. من يومها لم أنم ساعة واحدة .. لم أضع لقمـة تسـند فـى معدتـى .. لـم أكمـل يومًـا فـى مكتبى .. إحساسى بالذنب يكاد يقتلنـى .. كـل يـوم أقـرر الذهـاب إليهـا ، لأطلـب منهـا أن تسـامحنى ، ولكـن خوفـى مـن رد فعلهـا يمنعنى .. ليلة أمس ظللت أحوم حول منزلها حتى الحادية عشرة ليلاً ، ثم انصرفت دون أن أجرؤ على الصعود إليها ..

وانقطع صوت (أحمد) .. فقد انسابت دموعه تخنق الكلمـات فى حلقه .. وفوجئ (زيزو) :

ـ أتبكى ؟! أنت ؟!

ولم يسمعه (أحمد) .. مضى يفرغ ما بداخله :

ـ لقد أفقت إلى نفسى ، فأدركت كم أجرمت فـى حقهـا ، وهـذا هو ما يخيفنى من مواجهتها .

وإذا بالرجاء يكسر صوته تمامًا وهو يسأل (زيزو) بالدموع :

ـ أنت تعرفها جيدًا يـا (زيـزو) .. أنـت بمثابـة أخيهـا .. هل ستسامحنى إذا ذهبت إليها ؟ إذا كانت ستسامحنى فهيّا بنا فـورًا إلـى منزلها ، وسـأبذل المستحيل كى أطيّب خاطرهـا .. هـا يـا (زيـزو) ؟ ماذا ترى ؟ ماذا ترى ؟

وراح يتطلع إلى (زيزو) بمنتهى اللهفـة ، حتى جاءه رد (زيزو) بالدموع :

ـ (هيـام) فى المستشفى يا (أحمد) .

* * *

فتـح (محمـد إبراهيـم) بـاب الشـقة ليُفاجـأ بزوجتـه أمامـه .. تسمرت نظراته على وجهها من المفاجأة .. ثلاث سنوات كاملـة لم يلتقيا خلالها مرة واحدة .. كاد كل منهما ينسى ملامح الآخـر .. كـان نحيـلاً شاحبًا ، تكاد شـعيرات ذقنـه البيضـاء تغطـى نصـف وجهه ، وكان متدثرًا بروب باهت مهلهل ، وبدا وكأنه فقد نصف بصره ، فقد كانت عيناه غائرتين غائمتين كثقبين معتمين .. كـان واضحًا أن المرض والوحدة قد فعلا به ما استطاعا .. ظل متسمرًا

فى مكانه ، يتطلع إلى زوجته بدهشته ، بينمـا هـى تبادلـه النظر فى مرارة طاغية ، حتى أشار لها بـالدخول ، ففعلت .. جلست قبالته فى صالة الشقة المهملة ، وعادت تتطلـع إليـه بمرارتهـا ، حتى سألها باقتضاب :

ـ كيف حالك ؟

أجابته بمرارتها :

ـ الحمد لله .

ـ والبنت ؟

ـ أية بنت ؟!

ـ من ستكون سواها ؟ (هيـام) ابنتنا .

انفلتت منها ابتسامة تغطس فى المرارة :

ـ ابنتنا ؟! أما زلت تذكر أن لك ابنة ؟

أدرك أنها جاءت معبأة .. أسرع يكبح جماحها :

ـ (نانسى) ! الحال من بعضه .

بدت وكأنها لم تسمعه .. راحت تتفرسه بكـل مرارتهـا ، وهـى تسأله :

ـ لماذا ؟

أطرق إلى الأرض فى اختناق لعلها تسكت ، ولكنها لم تتركه .. مضت تسأله بمنتهى الغم :

ـ لماذا هذا الخلل فى الحياة ؟ وفى النفوس ؟

وكان رده بمرارة تفوق مرارتها :

ـ الأقدار يا (نانسى) .

وأثار رده استنكارها :

ـ الأقدار ؟!

ـ نعم ، الأقدار .

ـ الأقدار تجعل الإنسان يظلم نفسه ؟ ويظلم الذين حوله معه ؟ الأقدار أم الطباع الرديئة ؟

ـ وما الطباع يا (نانسى) ؟ أليست مـن صنع الأقدار ؟ ومن توزيعها ؟ أليست مفروضة على الإنسان ؟ طباع النـاس أصناف يا (نانسى) .. طباع تسعد أصحابها .. وطباع تشقى أصحابها .. وطبـاع تمضى بأصـحابها فى سـلام رغم أية ظـروف .. فهل لو خُيِّرَ عاقل بينها هل كان سيقرب الردىء منها ؟ لا أحد اختـار طباعه يا (نانسى) .. لا أحد اختارها .

ـ أليس هناك شىء اسمه تقويم ؟

ـ لا تقـويم ولا تبديل فى الطبـاع يـا (نـانسى) .. إنهـا قدر المرء ..

وأدركت المسكينة أنـه لا جدوى من الجدال .. أطرقت يأسًا وغمًّا للحظة ، ثم رفعت وجهها نحوه قائلة :

ـ (هيـام) فى العناية المركزة .

* * *

انطلق (زيزو) و (أحمد) مهرولين فى (كريدور) المستشفى .. لقد بشرتهما إحدى الممرضـات بـأن (هيـام) أفـاقت ، وغـادرت العنـاية المركـزة .. دلتهمـا إلى غرفتهـا ، فانطلقـا إليهـا حتى إذا ما بلغاها راح (زيزو) يفتح بابها بمنتهى الرفق والحذر حتى لا يقلق الحبيبة .

كـانت (هيـام) راقدة على ظهرها فـى فراشـها الأبيـض ، سـاهمة بنظراتهـا فـى سقف الغرفـة .. نحـل جسـدها كثـيرًا ، وشـحب كل ما فى وجههـا إلا براءتهـا وملائكيتهـا .. شعرت بفتــح بـاب الغـرفـة ، فالتفتــت نحــوه لتنساب علــى شـفتيها ابتسامة فرحة أشاعت النور فى وجهها وعينيها .. ورفرف قلب (زيزو) ، وراح يتقدم منها غير مصدق ، وقـد أثقلت فرحتـه التـى انفجرت فـى قلبــه خطــواته ، بينمــا (أحمـد) خلفـه ، متسمرًا فـى مكانـه عند البـاب ، متطلعًا إلـى (هيـام) بنظرات متهيِّـبة ، وقـد أمسـك فى يـده بوردة بيضــاء ، رفعهـا أمـام صـدره ، وكـأنه يوكلهـا بالحديـث نيـابة عنــه لـدى الحبيبة الراقدة ..

وظهر الأبوان (محمد إبراهيم) و(نانسى) بالباب ، ومن خلفهما ظهر الأستاذ (نور) و(سيد الروبى) و(شهيرة) ، وعدد كبير من زملاء وزميلات (هيام) فى النادى .. كل أحباء (هيام) جاءوا مهنئين بسلامتها .. ولكن الفتاة الرقيقة بدت وكأنها لم تر منهم جميعًا سوى واحد فقط :

(زيزو) !

تعلقت عيناها بوجهه وبعينيه وهو يميل عليها تسبقه نبضات قلبه المتلاحقة ، وأنفاسه الحارة ، ونظراته المشحونة بشلالات من المشاعر المشتعلة .. إنه مدفوع دفعًا لأن يقدم على شىء ما ، ولكنه لا يستطيعه .. مدفوع لأن يضمها فى حضنه .. لم تجرؤ ذراعاه على فعلها ، ولكن عينيه فعلتاها ، انهالتا عليها أحضانًا وقبلاتٍ تلقّتها الحبيبة بابتسامة هانئة ، لم يستطع المرض أن يخفى ما فيها من هناء ومن فرحة ، ولفحت أنفاس (زيزو) الساخنة وجه الحبيبة ، فإذا بها تسأله بخفوت كهمس الكناريا :

ـ أما آن الأوان يا (زيزو) ؟

ولم يفهم (زيزو) .. سألها بصعوبة ، من ضغط مشاعره المشتعلة :

ـ آن لأى شىء يا (هيام) ؟

ـ لأن تأخذنى فى حضنك .

وفوجئ (زيزو) .. انفلتت منه نظراته تحلّق على وجهها مذهولة غير مصدقة ، فإذا بها تكررها عليه :

ـ خذنى فى حضنك يا (زيزو) ! خذنى فى حضنك .

وذاب قلب (زيزو) وهو يضمها فى حضنه ، بينما أغمضت هى عينيها متذوقة حلاوة حضن العمر ، وهى تقول للفتى بخفوت الموت :

ـ ياااه يا (زيزو) .. قضيت عمرى أخاف الموت ، والآن فقط أحببته .. فقد منحنى حضن من يستحقنى دون ملامة .

وفتحت عينيها مرة أخرى على وجه الفتى الجميل ، تريد أن ترويهما منه لآخر مرة ، ولكنها لم تره جيدًا ، ولم تر دموعه

المنهمرة من عينيه ، ولم تر (أحمد) بذهولـه ، ولا وردتـه الساقطة على الأرض ، ولا الواقفين من حوله .. فقد كـان طـائر الموت يسحبها بعيدًا عنهم .. وكان النور فى عينيها يذوى رويدًا رويدًا ، حتى انطفأ تمامًا ..

[تمـــت]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة:

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعًا .
3 ـ قلوب لا تنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لا تغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرأة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعًا يا حبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعًا للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35ـ التقينا من جديد .
36ـ نسمة الصباح .
37ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت .
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائمًا .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبًا بالحب .
61 ـ شمعة لا تنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة .
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عنادًا .
71ـ رجل أحببته .
72ـ نبع الحب .
73ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعًا للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81 ـ سحابة صيف .
82 ـ زهرة برية .
83 ـ زهرتى الجميلة .
84 ـ ابتسامة القدر .
85 ـ لعبة الزمن .
86 ـ شاطئ الأمان .
87 ـ فجر جديد .
88 ـ حب وحرمان .
89 ـ ليل ونهار .
90 ـ سأنتظرك دائمًا .
91 ـ بعد الانتظار .
92 ـ حب بلا موعد .
93 ـ زواج العمر .
94 ـ القرار الصعب .
95 ـ معنى السكوت .
96 ـ يارا .
97 ـ اغفر يا قلب .
98 ـ الحائرة .
99 ـ ملاك الحب .
100ـ أزمة منتصف العمر .
101ـ ورود وأحجار .
102ـ النورس الحزين .
103ـ رحلة الأمواج .
104ـ أحــــلام .
105ـ زائرة جنيف .
106ـ وأخيرًا التقينا !
107ـ أنين الروح .
108ـ الوردة البيضاء .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

زهور

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



2007 / 6 / 11

فوزى عوض

الوردة البيضاء

ليل .. وبرد .. وقلب رقيق
جريح يهفو إلى ضمة حضن
دافئة توقف رجفته ، وتسكت
أنينه ..
ولكن ليس « أحمد » من الصنف الذى
يفعلها ، رغم تحرك قلبه وإحساسه
بالذنب ؛ لديه قدرة عجيبة
على المكابرة والتحكم
فى مشاعره ..

108

الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع